مذكرات

في أدبيات اللغـة العربيـة

لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ طنطاوى جوهرى

وطبعت

« على نفقة مكتبة ومطبعة الشعب »

مطبعة الشعب بشارع درب الجماميز بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مقـدمة الناشر ﴾

ان أفضل الأعمال مثوبة وأقربها الى الله زلفى علم ينشر وحكمة على مدى الأيام تذكر لاسيما اذا ألفتها نفوس الناشئين وعشقتها طلبة العلم والدين وان لكل أمة رجالا يوفون بعهدهم اذا عاهدوا ويقومون على حرثهـم ويسقون نامى غرسهم اذا زرعوا ومهدوا ويصوغون الحكمة والعلم موافقة لابناء عصرهم ملائمة لشبان مصرهم وليست مؤلفات العصور السابقة بمغنية عما تنتجه عقول الحاضرين ولقد وقفنا أنفسنا على خدمة الناشـئة وتوخينا الخطة التى هى أقوم لنشر الأدب والعلم بينهم وجاهدنا فى هذه السبيل بلا ملل ولا فتور مسرعين الى طلبهم اذا طلبوا ملبين نداءهم اذا دعوا ولقـد رأيناهم يلجون باب ادارتنا زرافات ووحدانا ويترددون المرة بعد المرة يطلبون طبع مذكرات آداب اللغة العربية التى أملا الاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى على تلاميذ السنة الثالثة من المدرسة الخديوية تكميلا لما نقص فى كتبهم واتماما لما يقرأونه فى دروسهم فكنت أرى طلبة العلم الأزهريين وتلاميذ المدارس النابغين يلحون فى طبع تلك المذكرة فأرسلنا الى الاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى رسولا نطلبها لطبعها فاعتذر بأنها مشتتة مفرقة وان ليس لديه من الفراغ مايسمح له بتنسيقها مع صغر حجمها وبساطة موضوعها

وكلما ألحت الادارة فى الطلب الحثّ الاستاذ فى الاستمساك بالسبب فما هدناه أن نقوم بجمعه وترتيبه وفى أثناء ذلك كانت ترد لنا الطلبة افواجاً يعرضون علينا آياتها القرآنية وأشعارها العربية فألفينا حكمة وعلما وأدبا جما وآيات قرآنية مقارنة بأشعار عربية كنصيحة القضاة التى وردت فى أشعار النابغة وهو يخاطب النعمان ومثلها فى القرآن خطابا لداود عليه السلام وكمقارنة وصف امرىء القيس فى أشعاره لوصف القرآن فى آياته وكم فيه من عجب عجاب كالتشبيهات فى النوعين هنالك تجلت الفصاحة والبلاغة فى الجاهلية والاسلام وظهر ان غرض المؤلف الأسمى ان يكون الانشاء خاليا من شوب الغرابة آخذاً بمجامع القلوب كما جاء فى القرآن ليجتذب قلوب الامم متعاليا عما كان يتوخاه القدماء من التعقيد فى المعنى والغرابة فى اللفظ . ان هذه تذكرة [illegible] ذكره . [illegible] نميرها وان ينسج الاستاذ [illegible] شأن اللغة العربية [illegible] شارعون فيه مستعينين بالله ذى الحول والطول

خليل صادق

صاحب مجلة مسامرات الشعب



مذكرات في الادبيات

كلام العرب منثور ومنظوم وكل ينقسم الى أقسام

أقسام النظم

هى عشرون

« الغزل »

قال بعض الشعراء

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعة ... الىّ فهلا نفسُ ليلى شفيعها

أأكرمُ من ليلى على فتبتغى ... به الجاهَ أم كنت امرأً لا أطيعها

« الوصف »

قال فى ديوان الحماسه عن بعض بنى جرم

أرقت وطال الليل للبارق[1] الومضِ[2] ... حبيّاً[3] سرى مُجتاب ارض الى ارض

نشاوى[4] من الادلاج[5] كُدرى[6] مزنه[7] ... يقضّي بجذب الارض مالم يكن يقضى

تحن باجواز[8] الفلا قُطراته[9] ... كما حن نيب[10] بعضهن الى بعض

كأنَّ الشماريخ[11] العُلا من صبيره[12] ... شماريخ من لُبنان بالطول والعرض

يبارى[13] الرياح الحضرميات مزنه ... بمنهمر[14] الاوراق[15] ذى قزع[16] رفض[17]

---

(١) البرق ٢ المضىء ٣ سحاباً يعترض فى الآفاق ٤ فرحة ٥ المسير ليلا ٦ لونه اكدر ٧ سحاب ابيض ٨ اوساط ٩ نواحيه ١٠ النياق المسنة ١١ الاعالى ١٢ سحاب فيه سواد و بياض ١٣ يسابق ١٤ المنصب ١٥ المياه الصافية ١٦ قطع ١٧ الابل تنزل فى المرعى

« الفخر »

قال بعض بنى قيس بن ثعلبه

انا محيوك يا سلمى فحيينا ... وأن سقيت كرام الناس فاسقينا

وان دعوت الى جلّى[1] ومكرمة ... يوما سراة[2] كرام الناس فادعينا

انا بنى نهشل لا ندّعى لأب ... عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

ان تبتدر[3] غاية يوماً لمكرمة ... تلق السوابق[4] منا والمصلينا[5]

وليس يهلك منا سيد أبداً ... الا افتلينا[6] غلاما سيدا فينا

انا لنرخص يوم الروع انفسنا ... ولو نسام بها فى الامن أغلينا

بيض مفارقنا[7] تغلى مراجلنا[8] ... نأسو[9] باموالنا اثار أيدينا

انا لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الكماة[10] الا اين المحامونا

لوكان فى الألف منا واحد فدعوا ... من فارس خالهم أياه يدعونا

ولا تراهم وان جلت مصيبتهم ... مع البكاة على من مات يبكونا

ونركب الكره أحيانا فيفرجه ... عنا الحفاظ[11] وأسياف تواتينا[12]

« الحماسة »

قال قطرىّ بن الفجاءة

أقول لها وقد طارت شعاعا[13] ... من الابطال ويحك ان تراعى

---

١ أمر عظيم ٢ اشراف ٣ تستبق ٤ جمع سابقة ٥ خيل السباق عشرة . سابق . مصل . مسلي العاطف . المرتاح . الحظى . الموكل . فهذه سبعة لها انصبة و بعدها ثلاثة لانصيب لها وهى اللطيم . الوغد . السكيت ٦ اخترنا ٧ المقصود نقاء العرض ٨ القدور ٩ نداوى ١٠ الشجعان ١١ الدفاع ١٢ توافقنا

فانك لو طلبت بقاء يوم على الاجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لاهل الأرض داعى
ومن لا يُغتبَطْ يسأم ويهرَم وتُسلمه المنون الى انقطاع
وما لِلمرء خير فى حياة اذا ما عُدَّ من سقَطِ[١] المتاع

« مدح وشكر »

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره وما فوق شكرى للشكور مزيد
ولو ان شيئا يستطاع استطعته ولكنَّ مالا يستطاع شديد

« الذم »

قال فرعان بن الأعرف فى ابنه مُنازل وقد كان عقه

جزَتْ رحِمٌ[٢] بينى وبين منازل جزاء كما يستنزل الدين طالبه
لربيته حتى اذا آض[٤] شيظما[٥] يكاد يساوى غارب[٦] الفحل غاربه
فلما رآنى ابصر الشخص اشخصا قريبا وذا الشخص البعيدَ أقاربه
[٧]تغمدَ حقى ظالما ولوى يدى لوى يده الله الذى هو غالبه
وكان له عندى اذا جاع أو بكى من الزاد أحلى زادنا وأطايبه
وربيته حتى اذا ما تركته أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وجمتها دُهما[٨] جلادا[٩] كأنها أشاء[١٠] نخيل لم تقطع جوانبه
فأخرجنى منها سليبا كانى حسام يمان فارقته مضاربه

---

١ يموت بلا علة ٢ الساقط ٣ قرابة ٤ صار ٥ طويلا ٦ ظهر ٧ أخفى ٨ جمع أدهم وهي الخيل ٩ قوية ١٠ صغار النخيل

أنأرعشت كفا أبيك وأصبحت ... يداك يدى ليث فانك ضاربه

« الادب »

يعاتبنى فى الدين قومى وانما ... ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا

أسد به ما قد أخلوا وضيعوا ... ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدا

وفى جفنة[1] ما يغلق الباب دونها ... مكللة[2] لحما مدفقة ثردا

وفى فرس نهد[3] عتيق[4] جعلته ... حجابا لبيتى ثم أخدمته عبدا

وان الذى بينى وبين بنى أبى ... وبين بنى عمى لمختلف جدا

فان أكلوا لحمى وفرت لحومهم ... وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم ... وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا

وان زجروا طيراً بنحس تمر بى ... زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

لهم جل مالى ان تتابع لى غنى ... وان قل مالى لم أكلفهم رفدا[5]

وانى لعبد الضيف مادام نازلا ... وما شمة لى غيرها تشبه العبدا

« الرثاء »

قال عبد الملك ابن عبد الرحمن الحارثى ... (ويكنى أبا الوليد)

وانى لارباب القبور لغابط[6] ... بسكنى سعيد بين أهل المقابر

وانى لمفجوع به اذ تكاثرت ... عداتى ولم أهتف سواه بناصر

فكنت كمغلوب على نصل سيفه ... وقد حز[7] فيه نصل حران[8] ثائر[9]

---

١ قصعة ٢ ملآى ٣ قوى ٤ كريم ٥ عطاء ٦ حاسد ٧ قطع ٨ عطشان ٩ طالب الثأر

أتيناه زواراً فأمجدنا قرى[1] من البث والداء الدخيل المخامر[2]
وأبنا بزوع قد نما في صدورنا من الوجد يستن بالدموع البوادر
ولما حضرنا لاقتسام تراثه أصبنا عظيمات اللهى[3] والمآثر
واسمعنا بالصمت رجع جوابه فأبلغ به من ناطق لم يحاور

« الزهد »

قال الطغرائي في لامية العجم

ياوارداً سؤر[4] عيش كله كدر أنفقت صفوك في أيامك الأول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه وأنت يكفيك منه مصة الوشل[5]
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا يحتاج فيه الى الانصار والخول[6]
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر في حادث الدهر مايغنى عن الحيل
قد رشحوك لأمر ان فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

« العتاب »

قال بعض أبناء العرب

ألا ابلغا خلتي[7] راشداً وصنوى[8] قديماً اذا ما اتصل
بان الدقيق يهيج الجليـ ل وأن العزيز متى شاء ذل
وأن الحذاقة أن تصرفوا لحي سوانا صدور الاسل[9]
فان كنت سيدنا سدتنا وان كنت للخال فاذهب فخل[10]

---

١ كرما ٢ المتخلل الجسم ٣ العطايا ٤ بقية ٥ الماء القليل ٦ الاعوان ٧ حبيبي
٨ صديقي ٩ الرماح — ١٠ من الاختيال

« الاعتذار »

قال النابغة الذبيانى يخاطب النعمان بن المنذر يعتذر عما نسب اليه

ما ان أتيتُ بشيء أنت تكرهه   اذاً فلا رفعت صوتى الى يدى
اذا فعاقبنى ربى معاقبة   قرّت بها عين من يأتيك بالحسد
هذا لابرأ من قول قذفت [1] به   طارت نوافذه [2] حراً [3] على كبدى
أنبئت أن أبا قابوس [4] أوعدنى   ولا قرار على زأر من الاسد
مهلا فداء لك الاقوام كلهم   وما أثمّر [5] من مال ومن ولد
لاتقذفنى بركن [6] لا كفاء [7] له   ولو تأثفك [8] الاعداء بالرفد [9]

« الوعيد »

قال عنترة العبسى يتوعد النعمان بن المنذر

ان كنت تعلم يانعمانُ أن يدى   قصيرة عنك فالايام تنقلب
أن الافاعى وان لانت ملامسها   عند التقلب فى أنيابها العطب
لى النفوس وللطير اللحوم وللـ   ـوحش العظام وللخيالة السلب [10]

« التحذير والاغراء »

قصيدة أبى أذَيْنه فى حضرة الملك الاسود بن المنذر يحذره من العفو ويغريه بالقتل لملوك غسان وقد وقعوا فى الاسر

ما كلَّ يوم ينال المرء ماطلبا   ولا يسوّغه المقدور ماوهبا

---

١ رميت ٢ سهام ٣ حاميه ٤ النعمان ٥ اربى ٦ قوة منك ٧ لاممائل له ٨ احاط بك ٩ الاتحاد على الوشايه ١٠ أثواب القتيل

وأحزم الناس من أن فرصة عرضت   لم يجعل السبب الموصول مقتضبا [1]

وأنصف الناس في كل المواطن من   سقى المعادين بالكأس الذي شربا

وليس يظلمهم من بات يضربهم   بحد سيف به من قبلهم ضربا

والعفو الا عن الاكفاء مكرمة   من قال غير الذي قد قلته كذبا

قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد   رأيت رأياً يجر الويل والحربا [2]

لاتقطعن ذنب الأفعى وترسلها [3]   ان كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا

هم جردوا السيف فاجعلهم له جزراً [4]   واوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا

أن تعف عنهم يقول الناس كلهم   لم يعف حلما ولكن عفوه رهبا

هم أهلة [5] غسان ومجدهم   عال فان حاولوا ملكا فلا عجبا

وعرضوا بفداء واصفين لنا   خيلا وأبلا تروق [6] العجم والعربا

ايحلبون دماً منا ونحلبهم   رسلا [7] لقد فخرونا في الورى حلبا

علام نقبل منهم فدية وهم   لافضة قبلوا منا ولا ذهبا

قال بعض الحجازيين

« الملح »

خبروها باني قد تزوجت   فظلت تكاتم الغيظ سرا

ثم قالت لاختها ولأخرى   جزعاً ليته تزوج عشرا

واشارت الى نساء لديها   لاترى دونهن للسر سترا

مالقلبي كانه ليس مني   وعظامي كأن فيهن فترا

من حديث نما الى فظيع   خلت في القلب من تلظيه جمرا

---

١ مقطوعا ٢ سلب الاموال ٣ تتركها ٤ الابل المنحورة ٥ جمع هلال ٦ تعجب ٧ لبنا

« الزهريات »

قال أحمد الاندلسيين

وعلى سماء الياسمين كواكب ... أبدت ذكاء[1] العجز عن تغييبها
زهر توقد ليلها ونهارها ... وتفوت شأو خسوفها وغروبها

وعن اخر

زار الربيع رياضنا وزهى بها ... فنباتها حليت بانواع الحلى
يزهو باحمر كالعقيق واصفر ... كالزعفران وابيض كالسنجل[2]
وبنفسج يزهو اذا عاينته ... آثار نفس في دراع ممتلى[3]

« الحكم »

قال زهير

ومن يك ذافضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطى يعمر فيهرم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... وان يرق أسباب السماء بسلم
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه ... ألى مطمئن البر لا يتجمجم[4]
ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره[5] ومن قد يتق الشتم يشتم
ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يعص اطراف الزجاج فانه ... يطيع العوالى ركبت كل لهذم[6]
ومن يجعل المعروف فى غير اهله ... يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

---

١ الشمس ٢ المرآه ٣ ملآن ٤ يتتعتع ٥ يحفظه ٦ سنان الرمح

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق الا صورة اللحم والدم

« السير والنعاس والوصف »

في ليل صول تناهى العرض والطول   كأنما ليله بالليل موصول

لا فارق الصبح كفي ان ظفرت به   وأن بدت غرة [١] منه وتحجيل [٢]

لساهر طال في صول تململه   كأنه حية بالسوط مقتول

حتى رأى الصبح قد لاحت مخايله [٤]   والليل قد مزقت عنه السرابيل [٥]

نجومه ركد [٦] ليست بزائلة   كأنما هن [٧] في الجو القناديل

ما أقدر الله أن يدني على شحط   من داره الحزن [٨] ممن داره صول

الله يطوي بساط [٩] الأرض بينهما   حتى يرى الربع منه وهو مأهول

« السؤال والجواب »

بكيت على سرب القطا اذ مررن بي   فقلت ومثلي بالبكاء جدير

أسرب القطا هل من يعير جناحه   لعلي الى من قد هويت أطير

فجاوبني من فوق غصن اراكة [١٠]   الا كلنا يامستعير نعير

وأي قطاة لم تعرك جناحها   فعاشت بذل والجناح كسير [١١]

المجون

حكى ان الحيص البيص الشاعر خرج ليلة من باب الوزير شرف الدين فنبح عليه جرو وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقبه فمات فبلغ ذلك أبا القاسم عبد الله

---

١ مكان ٢ بياض في الجبهة ٣ بياض في رجل الفرس ٤ طلائعه ٥ الالبسه ٦ ثابتة ٧ بعد ٨ الارض الصعبة ٩ الواسع ١٠ نوع من الشجر يوخذ منه السواك ١١ مكسور

ابن المفضل المعروف بابن القطان فانشد قصيدة وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابناً له

يا أهل بغداد ان الحيص بيص[١] أتى	بفعلة أورثته العار فى البلد
أبدى شجاعته فى الليل مجترئاً	على جرى[٢] ضعيف البطش والجلد
وليس فى يده مال يديه ولم	يكن له كفؤاً فى الأخذ بالقود[٣]
فأنشدت جعدة[٤] من بعد ما احتسبت	دم الأبيلق[٥] عند الواحد الصمد
أقول للنفس تأساء وتعزية	أحدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من بعد صاحبه	هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

فشاع أمرها فى البلد وقرأها الوزير وحاشيته

خرج المهدى للرياضة يوما فى حشمه وعسكره ومعهم أبو العتاهية الشاعر حتى اذا أتوا على مكان فسيح الارجاء باسق الاشجار مسرح الغزلان ومأوى سائر حيوانات الصيد فاستدار العسكر فى الفيضة وأخذوا يتضامون شيئاً فشيئاً فضاقت الدائرة وحشرت الظباء والبقر الوحشى فى مكان واحد فأخذ المهدى وعلى بن سليمان يرميان فنفذ سهم الملك بظبي فخر مضرجا بدمه ووقع سهم على بن سليمان على كلب فلقى حتفه فقال أبو العتاهية

صادف المهدى ظبياً	شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما	ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كـ	ـل امرىء يأكل زاده

---

١ شاعر ٢ تصغير جرو ٣ القصاص ٤ الكلبه ٥ تصغير ابلق ابيض

« التهانى »

قال أشجع

قصر عليه تحية وسلام	نشرت عليه جمالها الايام
واذا سيوفك صافحت هام العدى	طارت لهن عن الرقاب الهام
برقت سماؤك للعدو فامطرت	هاما لها ظل السيوف غمام
وعلى عدوك يابن عم محمد	رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا	سلت عليهم سيوفك الاحلام

المعلقات السبع

« وأصحابها »

« وشرح الواقعتين اللتين لاجلها كانت أربع معلقات »

حرب البسوس من أهم اسباب معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي والحارس بن حلزه اليشكرى من قبيلة بكر بن وائل . ولزهير بن أبى سلمى وعنترة بن شداد معلقتان فيها ذكر حرب داحس والغبراء الواقعة بين بنى عبس وذبيان . وأصحاب الثلاثة الباقية هم أمرؤ القيس وطرفه بن العبد ولبيد ابن ربيعة

أما امرؤ القيس فانه ابن حجر الكندى وكان أبوه ملكا في جهة الحيرة على بنى أسد ويضرب المثل بشهرة معلقته فيقال أشهر من قفانبك وله غيرها ديوان مشروح ومطبوع ومترجم الى اللغات الاوروبية وأحسن ما فى شعره

الوصف وقد ضرب المثل بامرىء القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب ومات امرؤ القيس سنة ٥٦٦ م وكان مغرماً باللهو والزهو والخمر والنساء واكثر كلامه في معلقته في ذلك وكان ينتصر لتغلب على بكر في أشعاره

« وصفه الليل في المعلقة »

فقلت له لما تمطى بصلبه   واردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي   بصبح وما الاصباح منك بأمثل

« ومن وصفه الخيل »

وقد اغتدي والطير في وكناتها[١]   بمنجرد[٢] قيد[٣] الاوابد[٤] هيكل[٥]
مكر مفر مقبل مدبر معاً   كجلمود صخر حطه السيل من عل
[٦]درير كخذروف[٧] الوليد أمرّه[٨]   تتابع كفيه بخيط موصل
له ايطلا ظبي[٩] وساقا نعامة   وارخاء[١٠] سرحان[١١] وتقريب تتفل[١٢]

أما طرفة بن العبد فترجم ديوانه للفرنسية في الصوربون وطبعه المسيو سليغصون ومعلقته اشبه بمعلقة امرىء القيس من حيث الزهو واللهو والخمر وما اشبهها وفي بعضها حكم كقوله

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة   وما تنقص الايام والدهر ينفد
متى مايشأ يوما يقده لحتفه   ومن يك في حبل المنية ينقد
أرى الموت اعداد النفوس ولا أرى   بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد

---

(١) أعشاش وهي مثلثة الاول ٢ سريع ٣ يقيد ٤ الشوارد ٥ العظيم والضخم ٦ سريع ٧ المسماه (فرره) وهي لعبة عند الاطفال ٨ اجراه ٩ خاصرتا ١٠ نوع من السير ١١ الذئب ان يضع يديه موضع رجليه ١٢ ولد الثعلب

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا　　ويأتيك بالاخبار مالم تزود

ويأتيك بالاخبار ممن لم تبع له　　بتاتاً [١] ولم تضرب له وقت موعد

ومن قوله فى الفخر فيها ورثاء نفسه قبل الموت

فان مت فانعينى بما أنا أهله　　وشقى على الجيب يابنة معبد

ولا تجعلينى كامرىء ليس همه　　كهمى ولا يغنى غنائى ومشهدى

وفيها عتاب كبير لاقاربه على ظلمهم ومنها يقول

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة [٢]　　على النفس من وقع الحسام المهند

ومنها فى الفخر

فلو كنت وغلاً [٣] فى الرجال لضرنى　　عداوة ذى الاصحاب والمتوحد

ولكن نفى عنى الرجال جراءتى　　عليهم واقدامى وصدقى ومحتدى [٤]

أما معلقة لبيد ابن ربيعة العامرى فان فيها كثيراً من الحكم والوصف وقد وصف فيها أطوار العرب فى البادية وأحوالهم وعوائدهم ومعايشهم ووحوش الفلوات ومن أحسن قوله

وجلا [٥] السيولُ عن الطول كأنها　　زُبُرٌ [٦] تجد [٧] متونَها [٨] اقلامها

ولقد سجد لهذا البيت بعض المخضرمين فقيل كيف هذا فقال كما يسجد الناس اذا سمعوا آية السجدة لانى عرفت بلاغته

(ومنها فى الفخر)

انا اذا التقت المحافل لم يزل　　منا لزاز [٩] عظيمة جشامها

---

١ زاداً ٢ ألماً ٣ الضعيف ٤ أصلى ٥ كشف ٦ كتب ٧ تجدد ٨ الكتابه ٩ يلزمها ليذللها اى يلتصق

ومقسم يعطى العشيرة حقها ومغذمر[١٠] لحقوقها هضامها

فضلا وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وامامها

فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها

واذا الامانة قسمت في معشر أوفى بأوفر حظنا قسامها

فبنى لنا بيتا رفيعا سمكه فسما اليه كهلها وغلامها

اما عمرو بن كلثوم التغلبي والحرث بن حلّزة اليشكري من قبيلة بكر ابن وائل فمعلقتاهما يذكر فيهما حرب البسوس التي وقعت بين بنى تغلب وبنى بكر؛ قبيلتا بكر وتغلب هما ابنا وائل من ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان وكان من حديثهما ان سيد بنى تغلب المسمى كليبا والزير أيضا كان من سنته ان يضع جروا فى روضة فلا يرعى احد ما انتهى له عواؤه فلهذا سمى كليبا وهكذا كان محبا لزيارة النساء فسمى زيرا وتزوج كليب جليلة بنت مرة أخت جساس ولقد حمى كليب أرضا فى اول الربيع فلمح ناقة سعد المسماة سرابا وسعد هذا جار البسوس خالة كليب فضربها برمحه في ضرعها فصرخت البسوس وقالت واذلاه يابنى تغلب فقتل جساس كليبا غيله وهما راكبان وقال ياجساس أغثنى بشربة فلم يغثه

وورد الخبر على همام أخى جساس وهو يشرب مع المهلهل أخى كليب فاخبره الخبر في مداعبته فقال مهلهل اليوم خمر وغدا أمر ولما أخرجوا جليلة من المأتم سألها أبو هامرء ه ماوراءك ياجليله قالت

ثكل العدد وحزن الأبد وفقد خليل وقتل أخ عن قليل وبين هذه

---

١ من يرمى الكلام بعضه على بعض يستخف به ولا يصلحه

غرس الاحقاد وتفتت الأكباد فقال لها او يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات فقالت أمنية مخدوع ورب الكعبة

بالبدن تدع لك تغلب دم ربها ولما رحلت جليلة قالت اخت كليب رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غداً لآل مرة من الكرة بعد الكرة فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها. أسعد الله أختي ألا قالت نفرة الحياء وخوف الاعداء ثم انشأت تقول

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا	تعجلي باللوم حتى تسألي
جلّ عندي فعل جساس فيا	حسرتا فيما انجلت او تنجلي
لو بعين فقئت عين سوى	اختها فانفقأت لم احفل
يا قتيلا قوّض الدهر به	سقف بيتيّ جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته	وانثنى في هدم بيتي الأول
خصني قتل كليب بلظى	من ورائي ولظى مستقبل
ليس من يبكي ليوميه كمن	انما يبكي ليوم مقبل
انني قاتلة مقتولة	وعسى الله ان يرتاح لي

ومن كلام المهلهل وهو اول من هلهل الشعر كما يقال

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها	ان أنت خليتها فيمن يخليها
ليت السماء على من تحتها وقعت	وانشقت الارض فانجابت بمن فيها

ووقعت حروب تشيب الولدان فمات همام وبكاه المهلهل وهكذا جساس قيل قاتله هجرس بن جليلة وقد تزوج بنت جساس والا صح انه قتل وهو فار

الى الشام وطلب صرة من المهلهل بعد قتل جساس الكف فلم يجب فقام الحرث ابن عباد فارسل ابنه لقتله بجساس فقتله ولم يصفح فدخل الحرث الحرب وقال

قرّبا مربط النعامة منى شاب رأسى وانكرتنى عيالى
لم أكن من جناتها علم الا ه وانى لنارها اليوم صالى

واوغل فى تغلب قتلا وأسرا ووقع فى يده المهلهل فنجا بحيلته ثم رحل مهلهل واصطلح الحيان ووقع هو أسيرا فى يد عمرو ابن مالك بهجر فاحسن اليه فجاءت له بنت خاله المجلل فقال

ضربت صدرها الىّ وقالت يا عديا لقد وقتك الاواقى

فحلف عمرو لايشرب مهلهل الماء فلم يشرب حتى مات وكان لمهلهل هذا ابنة اسمها ليلى تزوجت سيد العرب كلثوما فولدت عمراً الذى نحن بصدد معلقته وكان فى وقته عمرو بن هند ملكا جباراً فقال لقومه من ذاالذى يأنف ان تخدم أمه أمى فقالوا عمرو بن كلثوم لأن ليلى أمه ابنة المهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلها كلثوم بن عتاب فارس العرب
وابنه عمرو بن كلثوم سيد قومه فارسل الملك اليه يستزيره ويسأله ان يزير أمه أمه فلما ان مدت الموائد وفرشت البسط وشرع القوم يأكلون والنساء فى الخباء يتناولن الطرف قالت هند ياليلى ناولينى هذا الطبق فقلت لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فاعادت عليها فلما الحت عليها صاحت وقالت واذلاه يالتغلب فسمعها عمرو بن كلثوم فتناول سيف عمرو بن هند فقتله

وانتهب هو وقومه ما بالرواق وعلى هاتين الحادثتين بنيت معلقة عمرو بن كلثوم فاشار الى الحادثة الأولى بقوله

اليكم يابنى بكر اليكم	ألما تعلموا منا اليقينا
ألما تعرفوا منا منكم	كتائب يطعن ويرتمينا
علينا البيض[1] واليلب[2] اليمانى	وأسياف يقمن وينحنينا
علينا كل سابغة[3] دلاص	ترى فوق النطاق[4] لها غضونا
كأن غضونهن فتون غدر	تصفقها الرياح اذا جرينا
وتحملنا غداة الروع جرد	عرفن لنا نقائذ وافتلينا
ورثناهن عن آباء صدق	ونورثها اذا متنا بنينا
على آثارنا بيض حسان	تحاذر ان تقسم أو تهونا
كأنا والسيوف مسللات	ولدنا الناس طرا اجمعينا
يدهدون[6] الرءوس كما تدهدى	حزاورة[7] بأبطحها[8] الكرينا
لقد علم القبائل من معد	اذا قبب بأبطحها بنينا
بأنا المطعمون اذا قدرنا	وأنا المهلكون اذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا	وانا النازلون بحيث شينا
ونشرب ان وردنا الماء صفوا	ويشرب غيرنا كدراً وطيناً
اذا ما الملك سام الناس خسفا	أبينا ان نقر الذل فينا

«١» جمع بيضه ما يلبس على الراس من الحديد «٢» جلود يخرز بعضها الى بعض فتلبس فى الرأس خاصة «٣» المحكمة «٤» ما يشد به الوسط «٥» تموجات من اللين «٦» يدحرجون «٧» الحزور الغلام الشديد «٨» جمع كره

انا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا ولكنا سنبدأ ظالمينا
اذا بلغ الفطام لنا وليد تخر له الجبابر ساجدينا
لنا العز القديم فكل حى لنا تبع ولسنا تابعينا

وقال مشيراً الى ماوقع بينه وبين عمرو بن هند

أيا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمراً قد روينا
وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا
وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمى المحجرينا[1]
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا[2]
متى ننقل الى قوم رحانا يكونوا فى اللقاء لها طحينا
يكون ثفالها[3] شرقىّ نجد ولهوتها[4] قضاعة أجمعينا
نزلتم منزل الاضياف منا فعجلنا القرى ان تشتمونا
قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة[5] طحونا
ألا لا يعلم الاقوام انا تضعضعنا وانا قد ونينا
لا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
باى مشيئة عمرو بن هند نكون لقيلكم[6] فيها قطينا[7]

«١» المضيق عليهم «٢» جياداً تضع ثلاث حوافر فى الارض وترفع الرابع «٣» جلدة ينزل عليها الدقيق «٤» ما يوضع فى فم الرحا «٥» صخرة كبيرة تكسر «٦» الملك الصغير «٧» خدما

بأى مشيئة عمرو ابن هند　　تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

تهددنا وأوعدنا رويداً　　متى كنا لامك مقتوينا (١)

ورثت مهلهلا والخير منهم　　زهيرا نعم ذخر الذاخرينا

ومنا قبله الساعى كليب　　فأى المجد الا قد ولينا

ومعلقة عمرو بن كلثوم انشدت بعد معلقة ابن حلزة ان الثانية انشدت بحضرة الملك عمرو بن هند وذلك انه أصلح بين الحيين بكر وتغلب وأخذ من كل قبيلة منهما مائة غلام رهنا فلما كانوا فى بعض الاسفار مات التغلبيون وبقى البكريون فطلب الاولون من الأخيرين دية أبنائهم وحضروا عند الملك وتخاصموا وتجادلوا فانشد القصيدة الحارث بن حلزة ومنها

(١) واذكروا حلف ذى المجاز وما　　قدم فيه العهود والكفلاء

(٢) حذر الجور والتعدى وهل　　ينقض مافى المهارق الأهواء

(٣) واعلموا أننا واياكم فـيما اشترطنا يوم اختلفنا سواء

والمجاز موضع قريب مكة فيه أخذ عمرو بن هند العهود على الحيين والمهارق الصحف واحدها مهرق معرب مهر كرد

أما معلقتا زهير بن أبى سلمى وعنترة فانهما تذكران حرب داحس والغبراء بين بنى عبس وذبيان

كان لقيس ابن جذيمة العبسى درع فاغتصبها الربيع بين زياد العبسى فاستاق قيس اربعمائة بعير من نعم الربيع فاشترى بها خيلا ومنها داحس

---

(١) خادمين

والغبراء وهما فرس وحجر أي ذكر وأنثى من الخيل وسار الى بنى بدر من
بنى ذبيان ونزل بحذيفة بن بدر فاجاره هو وحمل أخوه فاغتاظ الربيع
وبنو عبس معه فاحتال حذيفة ابن بدر في مغاضبة قيس ليرحل عنهم بالمراهنة
معهم على مسابقة داحس والغبراء لفرسين من أفراسه والرهن مائة بعير
ومسافة السبق مائة وعشرون غلوة فتسابقت الخيل وسبق داحس والغبراء
وقد اختفى رجل أسدى فلطم داحسا فوقع في الماء ففاته ذلك عن المسير وسبقت
الغبراء وتبعها فرسا حذيفة وجاء داحس آخرا وتجلى للناس ما حصل من
الاسدى وافتضح أمر حذيفة ومع ذلك لج[٢] في طلب الرهن وارسل ابنه
لقيس يطلب الرهن فقتله وارتحل هو وقومه فقتل بنو بدر مالك ابن زهير
أخا قيس فجزع بنو عبس وغضب الربيع فانشد عنترة ابن شداد مرثيته في مالك

فلله عينا من رأى مثل مالك   عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يطعما الدهر بعدها   وليتهما لم يجمعا لرهان
وليتهما ماتا جميعاً ببلدة   واخطاهما قيس فلا يريان

ودارت رحى الحرب بين الفريقين وكانت سجالا وأشد الايام يوم
الهباءة اذ قتل فيها من فزارة واسد وغطفان ما يزيد على اربعمائة
ولم يقتل من بنى عبس الا عشرون وذلك لحيلة دبروها ومكر عظيم وكان
يوما مشهودا ثم ندمت بنو عبس ثم اجتمعت ذبيان ومن معها ممن ذكرنا فالحقوا
بنى عبس على ذات الجراجر وظهرت شجاعة عنترة ابن شداد واقتتلوا قتالا
شديداً ثم استجار بنو عبس ببنى شيبان ابن بكر فاكرموهم أولا وخانوهم
آخراً واقتتلوا فانهزمت بنو شيبان ثم سار بنو عبس الى ملك هجر معاويه

ابن الحرث الكندى فغار بهم ولم يجرم فهزموه واستاقوا الاموال ونزلوا بحى من كلب [١] فلم يجيروهم واقتتلوا فغلبت عبس كلباً وسبوا النساء ونهبوا الاموال ونزلوا على بنى حنيفة باليمامة [٢] وحالفوهم ثلاث سنين ثم فتك بنو حنيفة بهم فتكاً ذريعاً وقطعوا دابر أكثرهم ولا زالوا ككرة طرحت بصوالجة [٣] تتلقفها قبيلة قبيلة حتى هلك أكثرهم قتلاً وأسراً فجاء قيس والربيع وقومهما العبسيون واستجاروا بالحرث بن عوف وهرم بن سنان من بنى غيظ ابن مره وهم حى من غطفان فاصلحا بين الحيين ودفعا الديات وفى ذلك يقول زهير ابن أبى سلمى فى معلقته

سعى ساعيا غيظ ابن مرة بعدما ... تبزل [٤] ما بين العشيرة بالدم
فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم [٥]
يميناً لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل [٦] ومبرم [٧]
تداركتما عبساً وذبيان بعد ما ... تفانوا ودقّوا بينهم عطر منشم [٨]
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعاً ... بمال ومعروف من القول نسلم
فاصبحتما منها على خير موطن ... بعيدين فيها من عقوق [١٠] ومأثم [١١]
عظيمين فى عليا معد هديتما ... ومن يستبح [١٢] كنزا من المجد يعظم
ينجمها [١٣] قوم لقوم غرامة ... ولم يهريقوا [١٤] بينهم ملء محجم

١» قبيله «٢» بلاد ٣ مضارب «٤» تشقق «٥» قبيله «٦» الخيط المفرد «٧» خيطان ابرما «٨» واسم امرأة تبيع العطر تعهد جماعة ان يتعطرا بعطرها وان يوقدوا نار الحرب فذهبوا اليها فقتلوا اجمعين فكانهم جعلوا العطر عهداً بينهم فضربت مثلا «٩» معصيه ١٠ ذنب ١١ يستحل او يستحوز ١٢ مواقيت محدده ١٣ يصبوا ١٤ قرن المزين

ألا ابلغ الاحلاف عنى رسالة   وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

الاحلاف أسد وغطفان وطيء أى المتحالفون اشارة لحرب أخرى غير هذه

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم   ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر   ليوم حساب أو يعجل فينقم

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم   وما هو عنها بالحديث المرجم [١]

لعمرى لنعم الحى [٢] جر عليهم   بما لا يواتيهم [٣] حصين ابن ضمضم [٤]

فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة   لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم [٥]

لدى أسد شاكى السلاح [٦] مقذف [٧]   له لبد [٨] اظفاره لم تقلم

ثم قال

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش   ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

واعلم ما فى اليوم والامس قبله   ولكننى عن علم ما فى غد عمى [٩]

رأيت المنايا الخ

وقال عنترة فى معلقته يذكر حصين ابن ضمضم المذكور

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر   للحرب دائرة على ابنى ضمضم

الشاتمى عرضى ولم أشتمهما   والناذرين [١٠] اذا لم القهما دمى

ان يفعلا فلقد تركت أباهما   جزر السباع وكل نسر قشعم [١١]

ومنها فى الفخر والشجاعه

---

١ من غير معرفه ٢ ذبيان ٣ يوافقهم ٤ فانه ابى ان يدخل فى الصلح مع قومه وقتل رجلا من بنى عبس بعد الصلح بلا رضا ذبيان ٥ الموت ٦ حاده ٧ كثير اللحم ٨ جمع لبده وهو الشعر المتجمد ٩ اعمى ١٠ المحتمين على نفسها

أثنى عليّ بما علمت فانني ... سمح مخالطتى اذا لم أظلم

—وفى الفخر والكرم

فاذا شربت فانني مستهلك ... مالى وعرضى وافر لم يكلم

واذا صحوت فما اقصر عن ندى ... وكما علمت شمائلى وتكرمى

ومنها يذكر الحرب

لما رأيت القوم أقبل جمعهم ... يتسابقون كررت غير مذمم

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان[١] بئر فى لبان[٢] الادهم[٣]

ومنها

هلا سألت الخيل يابنة مالك ... ان كنت جاهلة بما لم تعلمى

يخبرك من شهد الوقيعة اننى ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

فأرى مغانم لو اشاء حويتها ... فيصدنى عنها الحيا وتكرمى

ومنها

ولقد شفا نفسى وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدمى

والخيل تقتحم الخبار[٤] عوابسا ... من بين شيظمة[٥] واجرد[٦] شيظم

ومنها فى النسيب والغزل يصف انفاس محبوبته

وكأن فأرة[٧] تاجر[٨] بقسيمه[٩] ... سبقت عوارضها اليك من الفم

أو روضة أنفاً[١٠] تضمن نبتها ... غيث قليل الدمن[١١] ليس بمعلم

جادت عليه كل بكر[١٢] حرة ... فتركن كل قرارة[١٣] كالدرهم[١٤]

---

١ حبال ٢ بفتح اللام الصدر ٣ الفرس ٤ الارض اللينة ٥ الطويل ٦ قصير الشعر ٧ فارة المسك مافيه المسك تفور رائحته ٨ العطار ٩ المرأة الجميله ١٠ لم ترع ١١ السرجين والبعر ١٢ السحابة التى تمطر ١٣ حفرة صغيره ١٤ لما فيها من الماء

سحاً ⁽¹⁾ وتسكاباً ⁽²⁾ فكل عشية — يجرى عليها الماء لم يتصرم ⁽³⁾

وخلا الذباب بها فليس ببارح — غرداً كفعل الشارب المترنم

هزجاً ⁽⁴⁾ يحك ذراعه بذراعه — قدح المكب على الزناد الاجذم ⁽⁵⁾

وقد ترجمت قصة عنتر للالمانيه ترجمها المستشرق همره صاحب تاريخ الدولة العثمانية وتاريخ الأدب العثمانى وتاريخ الأدب العربى ثم ترجم قصة عنتر للفرنساويه العلامه مارسل ديفيك معلم العربية فى كليه مون بيليه وهى من أقدم مدارس الافرنج ان فى هذه القصص لعبرة وذكرى لقوم يعقلون ان الحزن والمصائب والرزايا فى الامم مزارع النابغين ينبت فيها كل شاعر مفلق وشجاع غضنفر لولا حروب البسوس مانبغ المهلهل ولا ذكرت جليلة ولولا حرب داحس والغبراء مااشتهر عنتر

بل لولا الملحمتان ما كانت المعلقات ذات بهجة وما علم القاصى والدانى شجاعة الشجعان ولا فصاحة الشعراء. الا انما الخطوب ميزان لأمم ومصدر الفضائل والهام الشعراء ومن ذا الذى كان يسمع بالحارث بين حلزة أو هارم ابن سنان وفضله فى الصلح لولا الحرب الا انما الحرب فى الامم كتقليم الاشجار وتنظيم البستان . ان النوائب نيران تصهر بها معادن الرجال وتصاغ كما يصاغ الحلى واذا أراد الله انبات رجال فى أمة انباتا حسناً سلط عليها سحائب الهموم فامطرتها . وحرارة الاشجان فانمت فيها العقول وحركت الهمم فاخرجت شطأها ⁽⁶⁾ واستوت على سوقها وأغاظت عدوها ثم اذا ماغاب عن الناس شخصها بقى فى الخافقين ذكرها ومن العجب الا يبقى ذكره الا شاعر

---

١ نزول المطر الخفيف ٢ نزول المطر الشديد ٣ ينقطع ٤ مغنيا ٥ الاكتع ٦ فروعها

أو من أطراه شاعر فهذا عنتر لم يكن رئيس قبيلة وانما الرؤساء قيس بن زهير والربيع ولم يشتهر اسمهما اشتهار عنتر ولم تسر بمدحهما الركبان كما سارت بعنتر بين الانام وقد جاء ذكرهما تبعاً لذكر عنتر فلله الشعر والشعراء . قد ذكرنا المعلقات السبع ولم نكثر من معلقة الحارث بين حلزه لانها ليست في مرتبة بلاغه بقية المعلقات ولقد حذفها ابو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي المتوفى سنة ١٧٠ هـ

وأستبدل بها معلقتي النابغة والأعشى فلنورد نبذاً من كل منهما فانا على رأيه النابغة هو زياد بن معاوية ويكنى أبا امامه أحد الشعراء الاربعة الذن وقع الاتفاق على تفضيلهم واحد الاشراف الذين وصفهم الشعر وقد كان حكما بين الشعراء في سوق عكاظ وقصته مع الخنساء والاعشى وحسان مشهورة وقد جرت بينه وبين النعمان عداوة لوشاية وشاها المنخل واتهمه في المتجردة زوجه اذ ذكرها في قصيدته التي وصفها فيها واولها

من آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح ان رحلتنا غـد وبذاك خبرنا الغراب الاسود

وقد كان أغلب شعره في الاعتذار والتنصل الى النعمان مما وشي به عنده حتى أمنه النعمان ورضي عنه

قال

يادار ميـة بالعلياء[1] فالسند اقوت وطال عليها سالف الامد

وقفت فيها طويلاً كي أسائلها عيت جوابا وما بالربع[2] من أحد

---

١ اسمان للمكانين ٢ المنزل

ثم ذكر رحلته وناقته ووصفها كعادة العرب ثم قال

فتلك تبلغني النعمان أن له ... فضلا على الناس في الادنى وفي البعد
ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه ... وما أحاشي من الأقوام من احد
الا سليمان اذ قال الاله له ... قم في البرية فاحددها عن الفند[1]
وخيس الجن اني قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد[2]
فمن أطاع فاعقبه بطاعته ... كما اطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة ... تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد[3]

ومنها يضرب المثل بحكم فتاة عربيه

ذلك ان فتاة اعرابية نظرت الحمام طائرا بين جوانب الجبل وهو وارد الماء قيل هي زرقاء اليمامة وقيل غيرها . قالت ليت هذا الحمام ليه الى حمامتيه ونصفه معه ثم الحمام ميه فوقع الحمام في شبكة الصيد فعدوه اذا هو ست وستون

قال النابغة

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت ... الى حمام سراع وارد الثمد[4]
يحفه جانبا نيق وتتبعه ... مثل الزجاجة[5] لم تكحل من الرمد
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا ... الى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فالفوه كما نظرت ... ستا وستين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة فيها حمامتها ... واسرعت حسبة في ذلك العدد

---

١ الذنب ٢ جمع صفيحه وهي الحجار العراض ٣ الحقد ٤ الماء القليل ٥ عينها

وقال مقسما

فلا لعمر الذي قد زرته حججا[1] وما هريق على الانصاب[2] من جسد[3]
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل[4] والسند[5]
ما ان اتيت بشيء أنت تكرهه اذن فلا رفعت سوطي الي[6] يدي
اذن فعاقبني ربي معاقبة قرت بها عين من يأتيك بالحسد
هذا لأبرأ من قول قذفت به طارت نوافذه حر على كبدي
أنبئت ان أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد
لاتقذفني بركن لا كفاء له ولو تأثفك[6] الاعداء بالرفد[7]

ثم ضرب مثلا بكرم النعمان وشبهه بماء الفرات

فما الفرات اذا جاشت[8] غواربه[9] ترمي أواذيه العبرين بالزبد
يمده كل واد مترع لجب[10] فيه ركام من الينبوت[11] والخضد[12]
يظل من هوله الملاح مقتصما بالخيزرانة[13] بعد لاين[14] والنجد[15]
يوما بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد

الاعشى هو ميمون بن قيس وهو احد الاربعة المفضلين على شعراء الجاهلية وهم الاعشى وامرؤ القيس والنابغة وزهير وكان يغني بشعره فسمي صناجة العرب وهو أول من سافر ومدح بشعره وسأل الملوك وكان سبب

---

١ سنين ٢ الاصنام ٣ الدم اللازق واصله الزعفران وثوب مجسد أي عليه جساد وهو الزعفران ٤ ماء يجري من أصل جبل ابي قبيس ٥ سفح الجبل ٦ اجتمع ٧ يقصدون منه الوشاية ٨ اضطربت ٩ اعاليه ١٠ شديد الصوت ١١ نبت ١٢ مايكسر من الشجر ١٣ الخيزرانه هي الدفة ١٤ التعب ١٥ الشدة والكرب

معلقته انه سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يأمر به من مكارم الاخلاق وما ينهى عنه من المنكر فمدحه بهذه القصيدة وارتحل اليه يريد لقاءه والاسلام على يديه فقصده أبو سفيان بمكة اذ جمع له مائة ناقة حمراء من اشراف قريش مخافة ان يسير الركبان بالقصيدة وبأيمانه يدخل العرب جميعاً في دين الاسلام ما أنصرف بالأبل تردى من على بعيره باليمامة فلقي حتفه قال

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا   وبت كما بات السليم مسهدا
وماذاك من عشق النساء وانما   تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
شباب وشيب وافتقار وثروة   فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت ابغي المال مذ انا يافع   وليدا وكهلا حين شبت وامردا

ثم أخذ يصف رحلته وناقته الى أن قال

فآليت[1] لا أرثي لها من كلالة[2]   ولا من جوى[3] حتى تلاقي محمدا
متى ماتناخي عند باب ابن هاشم   تراحي وتلق من فواضله ندا
نبي يرى مالا ترون وذكره   أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب[4] ونائل[5]   وليس عطاء اليوم يمنعه غدا
أجدك[6] لم تسمع وصاة محمد   نبي الاله حين أوصى واشهدا
اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى   وابصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون مكانه   فترصد للامر الذى كان أرصدا

---

١ حلفت ٢ تعب ٣ حزن ٤ تنقطع ٥ عطاء ٦ وحق جدك

فاياك والميتات لا تقربنها ... ولا تأخذن سهماحديدا لتفصدا[1]
واذا التصب[2] المنصوب لاتنكسنه ... ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا
وسبح على حين العشيات والضحى ... ولا تحمد المثرين والله فاحمدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه ... لفاقته ولا الأسير المقيدا
ولاتسخرن من بائس ذى ضرورة ... ولا تحسبن المال للمرء مخلدا
ولا تقربن جارة ان سرها[3] ... عليك حرام فانكحن أو تأبدا[4]

هذه هى المعلقات أخذنا منها ما حلى فى الذوق وخف حفظه ونفذ الى القلب عند استماعه وبعضهم زاد معلقة اخرى لعبيد بن الابرص الذى هو أحد المعمرين يزعمون انه عمر (٢٢٠) سنة او (٣٠٠) سنة وليس فى معلقته الا تقريع امرأته وليس فيها من فائدة

جمهرة اشعار العرب

ان محمد بن الخطاب القرشى المتوفى سنة ١٧٠هـ الف كتابا سماه جمهرة أشعار العرب وذكر فيه المعلقات كما قدمنا فجعلها ثمانية وزاد فيها مراتب أخرى من أشعار الجاهلية المخضرمين فيلى المعلقات فى الرتبة المجمهرات أى التى هى عالية السبك كأنها الناقة المجمهرة المتداخلة الخلق كأنها اجهو والرمل وأصحابها عبيد بن الابرص وعدى بن زيد وبشر بن ابى حزام وامية بن ابى الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب . ويليها المنقبات اى المختارات وأصحابها السيد بن عنس والمرقش والمتلمس وعروة بن الورد ومهلهل بن بيعة

---

١ — كانت العرب اذا جاعت فى البادية فصدت الجمل لتشرب دمه فنزل القرآن بتحريمه ٢ الصنم ٣ القرب منها ٤ اترك الزواج

ودريد بن الصمة والمتنخل بن عويمر الهذلي . والمذهبات أى المكتوبة بماء الذهب وأصحابها حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه ومالك بن عجلان وقيس بن الخطيم الأوسى واحيحه بن الحلاج وابو قيس بن الاسلت وعمرو بن امرئ القيس . ويليها المراثى وأصحابها ابو ذؤيب الهذلى ومحمد بن كعب الغنوى وأعشى باهله وعلقمة بن عبده الحميرى وابو زبيد الطائى ومتمم بن نويره ومالك بن ريب النهشلى التميمى . والمشوبات وهى التى شابها الكفر والاسلام وأصحابها كعب بن زهير والنابغة الجعدى والقطامى والحطيئة والشماخ بن ضرار وعمرو بن أحمر وتميم بن أبى مقبل . والملحمات أى التى أحكم نظمها وأصحابها الفرزدق وجرير الخطفى والاخطل الثعلبى وعبيد الراعى وذوالرمة والكميت والطرماح بن حكيم الطائى فهذه تسع وأربعون منظومة بتسع وأربعين شاعراً فى الجاهلية وصدر الاسلام

فى القرآن من الأمثال والقصص والوصف مقارنة بما يناظرها من كلام العرب

القرآن امر ونهى ووعد وعظة ومثل وقصص

التمثيل والوصف فى كلام الجاهلية والقرآن

انا أردنا بهذا الباب المقارنة مابين تشبيهات القرآن ووصفه للمشاهدات والعوالم وبين ماجاءت به قرائح العرب في تشبيهاتهم وتوصيفهم لما يرون لنتخذ مثلاً مما أطبق العقلاء على تفضيله من أشعارهم وما رضيه اساطين الشعر وفحول البلاغة ومناطيق الخطابة ولسن الفصاحة من قصائدهم انهم أجمعوا على تفضيل القصائد المعلقات انها أنشدت بحضر رؤوس القبائل وأشراف العرب والوجوه والأكابر فاذا اتخذناها فى مقارنتنا تمثيلا فقد

حكمنا حكماً لا يشوبه لبس على بلاغة سائر الشعراء من جميع القبائل

انى أردت بهذا أن أبين حال الانشاء زمن الجاهلية وحاله فى القرآن ومن يتبين الطريقين عرف اعذبهما لفظا واحسنهما سبكا

لسنا نريد بهذا الباب أن نثبت بلاغة القرآن أو اعجازه ولا أن نسلك بالقارئ سبل الأجمال فى القول وانما نريد ان يقتفى المنشؤن فيما بعد سبيل السهولة ويذروا الالفاظ الغريبة .

انى رأيت الناس فى الأمم الجاهلة ينهون عن الغرابة وهم يغربون وينأون عن السهولة وهم بها يأمرون طالما قرأت كتابا لناصح مشفق لامته يقول عليكم بالسهولة والانسجام ودعوا الغرابة والأبهام وهو يتعمد معاظلة الكلمات وتعقيد الجمل ليرى الناس انه عليم باللغة مطلع على ما أغفله سواه ولعمرى ان هذا لشأن الأمم أيام جهالتها يخضعون لما غشى على عقولهم ويهرعون لما رك على قلوبهم ويستهترون (١) بكل غريب وان لم يعقلوه ويعبدون مالا يعلمون من القول كما يعبدون ذوى السطوة والجبروت من الظالمين وذوى الخداع والمكر والعزيمة والهمة من الدجالين

اذن فلنبين في هذا الفصل كيف كانت طرائق العرب فى اعالى مناهجهم وكيف تولوا عنها وأعرضوا اذ نزل القرآن وعرفوا فصاحته فأخذوا ينسلون من كل حدب يستمعون لما حلا فى الذوق وتعالت معانيه وجملت مبانيه كما قال بعضهم ان أسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وان له لطلاوة وان عليه لحلاوة وانه يعلو ولا يعلى عليه فلنذق الآن حلاوته كما ذاقها ذلك العربى ولننسج على منواله

---

١ ينكبوا عليه

ونسير على أسلوبه من السهولة والانسجام أما البلاغة وعلو الطريقة فذلك مقام لا تصل له الأوهام فضلا عن الافهام

باب الوصف

قد طرق القرآن أبوابا في الوصف لم يطرقها العرب الا قليلا فلن يتسنى لنا ان نقارن بينهما في معنى واحد الا قليلا . ان في اقوالهم لخشونة وضيقا وفيه لطافة وسعة وعليه فلنكتف بالمقارنة العامة . قال امرؤ القيس يصف منزل محبوبته

يا صاحبيّ ابكيا معي من تذكر الحبيب الذي هو بسقط اللوى الذي بين الامكنة الأربع وهي الدخول وحومل وتوضح والمقراة . ان هذه الأماكن لم ينمح أثرها اللاصق بالأرض لان ريحي الشمال والجنوب يتعاورانه فاذا غطته احداهما كشفته الاخرى فبقي ظاهراً وترى بعر الغزلان البيض فيما اتسع بين ديارها وفي الامكنة المستوية من الارض تشابه حب الفلفل وهذا معنى هذه الابيات

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الآرآم في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

ووصف الله العالم المشاهد فقال

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء

والأرض لآيات لقوم يعقلون

فذكر الليل والنهار وسفن البحار تحمل امتعة التجارة لنفع الناس والمطر المنصب من السماء وحياة الارض بنباتها وأشجارها وتفريق أصناف الحيوان في ارجائها وتسيير الهواء للسحاب الجارى في الجو بين السماء والارض بلا علاقة من أعلاه ولا ممسك من اسفله ان هذا الوصف سيق ليعتبر به الذين يعقلون

ان العربي في الباديه اذ سمع هذا شاقه الى النظر في العالم ومعرفة خالقه . كان يترنم بمعلقاتهم ومذهباتهم ومنقباتهم وفي كثيرمنها أغلاق ومعانيها نازلة ضائقة عاكفة على الغزلان والديار والرسوم فلما ان قرع سمعه القرآن بالفاظه الجزلة وجمله البديعة العالية ومعانيه الواسعة اصغى اليه بكل جارحة وانتجع له من كل فج عميق فما كان أشد اسراعه وامضى عزيمته اذ ولى وجهه شطر القرآن

على هذا المنوال فليكن الانشاء في عصرنا اندع الجمود على الاساليب العتيقة التي سنها امرؤ القيس وقاربها الحريرى وسارت بها الركبان في الشرق والغرب ما بين بعض الشرقيين والمستشرقين من الغربيين وهاك وصفا أخر لامرئ القيس ولا جرم انهم اجمعوا على انه أحد الاربعة المفضلين على سائر شعراء الجاهلية وأهم شعره الوصف قال يصف الليل

وكم من ليل كأنه موج البحر في احواله وظلماته أسدل أستار الظلام عليّ وقد ساورتني الهموم وتكاثرت الغموم ليبتليني أأصبر أم أجزع فقلت له لما امتدت اوائله وافرطت في الطول وازدادت أواخره فتباعد أوله من

آخره وتحامل عليّ بصدره كما يتحامل البعير يا أيها الليل الطويل انكشف وتنح عن عيني لأرى بياض الصبح وان كان النهار ليس احسن منك لأني أقاسي في كليهما الهموم والاشجان فواعجبا لهذا الليل كأن نجومه شدت بحبال من الكتان الى صخور صلاب وهذا معنى قوله

وليل كموج البحر ارخى سدوله   عليّ بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه   واردف أعجازا وناء بكلكل
ألا ايها الليل الطويل الا انجلي   بصبح وما الاصباح منك بامثل
فيالك من ليل كأن نجومه   بأمراس كتان الى صمّ جندل

وقال الله تعالى

ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحيّ من الميت ومخرج الميت من الحيّ ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى أنشأكم من من نفس واحدة فمستقر (في الارحام) ومستودع (في الاصلاب) قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون

وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان [1] دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون

ويقول الحارث بن حلزة في معلقته يصف ناقته

وانى اذا اشتد الخطب استعين على امضاء همى وقضاء وطرى (اذا خف أي ذهب بالرجل الثوى المقيم بلا عمل النجاء اى الانكماش) بناقة سريعة كانها نعامة طويلة الساقين ذات اولاد (ملازمة للدَوّ اى الوادى الواسع ذات خف محدودب) سمعت صوتا خفيفا فخافت على نفسها الصياد وقت العصر وقد قرب المساء فتراها ترجم قوائمها وتوقعها على الارض فيثور غبار دقيق كأنه الأهباء « اى مايرى فى شعاع الشمس النافذ من الكوّات (جمع كوة وهى الطاقة) وترى خلفها اطباقا من اخفافها خلفها طباق اخرى سقطت من وعر الصحراء فهذه الناقة اتلهى بالركوب عليها وقت الهجير من الم يعييني وهم يلحقنى اذ يكون كل ذى هم كالناقة البلية العمياء التى ربطت على قبر صاحبها حتى تموت وهذا معنى قوله

غير انى قد استعين على الهم ... اذا خف بالثوى النجاء

بزفوف كأنها هقلة أم ... رئال دوّية سقفاء

آنست نبأة وافزعها القنا ... صُ عصراً وقد دنا الامساء

فترى خلفها من الرجع والوقع ... منيناً كأنه أهباء

وطراقا من خلفهنّ طراق ... ساقطات ألوت بها الصحراء

أتلهى بها الهواجر اذ كل ... أبن هم بلية [٢] عمياء

ولما كان القرآن لايتنزل فى وصفه لمثل هذه وجب ان نذكر وصفاً ما كقوله تعالى

الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر

---

٢ اى الناقة العمياء التى تربط على قبر صاحبها حتى تموت

الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم
بلقاء ربكم توقنون وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وانهاراً ومن كل
الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم
يتفكرون وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان ذلك
لآيات لقوم يعقلون

فانظر كيف وصف الشاعر الناقة وسرعتها وخوفها من القانص والغبار
وضعف خفها ووصف القرآن السموات ورفعها بلا عمد والارض ومارست
عليه وتسخير الشمس والقمر وجريهما الى انقضاء العالم ثم ذكر تدبير جميع
العالم وتفصيل كل شىء ثم استنتج لقاء الله المدبر لهذا العالم ثم ذكر مد الارض
وانهارها وثباتها بالجبال وما فيها من انهار وأبان كيف كانت قطع الارض
متجاورة ثم هى مختلفة فمنها الحدائق الجميلة والجنات ذات الاعناب وذات
المزارع والنخيل الذى ينشأ من أصل واحد وغيره وكيف سقيت كلها بماء
واحد وفضل بعضها بعضاً فى الطعم واللون والذوق وقال امرؤ القيس

ورب واد يشبه وادى الحمار وخلوه من النبات والانيس طويته سيراً
وقطعته وكان الذئب يعوى فيه من فرط الجوع كالمقامر الذى كثرت عياله
وهم يطالبونه بالنفقة وهو يصيح بهم ويخاصمهم اذ لايجد معه ما يرضيهم
فقلت للذئب لما عوى ان شأننا ان نطلب الغنى طويلا ثم لانظفر به اذ قل مالك
كما قل مالى كل منا اذا اظفر بشىء فوته على نفسه اذ يبذره ومن سعى سعيى
وسعيك افتقر وعاش مهزول العيش وهذا معنى قوله

وواد كجوف العير قفر قطعته	به الذئب يعوى كالخليع[1] المعيل[2]

فقلت له لما عوى ان شأننا	قليل الغنى ان كنت لما تمول

قال امرؤ القيس

كلانا اذا مانال شيئا أفاته	ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل

وقال الله تعالى فى وصف فيه شبه محاورة

واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما الهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون

هذا وصف حال الكوكب والقمر والشمس وصفها بالتدريج استدراجا وارتقاء من الأسفل الى الأعلى قارن كلام امرىء القيس ومحادثة الذئب واستنتاجه من عوائه اشتراكهما فى الفقر وانهما عديما المال واستنتاج الخليل من جمال الاجرام السماويه وانتقالها وتغيرها عظمة مبدع الكون وجماله والرجوع اليه فعرفه ووجه وجهه اليه

قال امرؤ القيس يصف فرسه

وقد اغتدى والطير لم تزل فى أماكنها المستقرة فيها على فرس ماض فى السير قليل الشعر يقيد الوحوش بسرعة لحاقه اياها عظيم الالواح والجرم

«١» المقامر «٢» كثير العيال

وهو مكر اذا طلب منه الكر مفر اذا طلب منه الفرار مقبل اذا طلب منه الاقبال مدبر اذا طلب منه الادبار كحال صخرة ألقاها السيل من أعلى الجبل الى أسفل الدوّ في السرعة والصلابة وهو كُميت أي في لونه (كمتة وهي حمرة مشوبة بسواد) وانه لاكتناز لحمه وسلامة ظهره لا يثبت عليه اللبد بل يزل عن حال متنه أي وسط ظهره كما ان الحجر الأصم ينزل عنه ولا يثبت عليه المطر المتنزل من السحاب وهو مع ذبله اي ضموره جياش أي سريع الحركة وأن اهتزامه أي صوت جريه اذا ارتفعت حرارة غيظه يشابه غليان القدر على النار

ان هذا الفرس يصب عدوه وجريه صبا بعد صب كما يسح المطر سحا في حال ماذا كانت الخيل المشبهات للسابح في البحر وهي في نصب وتعب يثرن الغبار بالارض المذللة المسهلة بحوافر الخيل التي كدتها فسهلتها وركلتها اي ضربتها بحوافرها فهذا الفرس يجرى في حال تعبه وقد عجزت جياد الخيل عن السير في الارض السهلة وهو درير أي يدرّ العدو والجرى ويديمهما مواصلا متتابعاً كما يديمها خذروف الوليد وهو الحصاة المثقوبة المجعول فيها خيط يديرها الولدان على رؤوسهم اذا كان خيطها موصلا بعد القطع اذا قواه فتل الصبي بكفيه فتلا محكما وله خاصرتان كخاصرتي الغزال في الضمور وساقان كساقي النعامة في الطول وارخاء وهو نوع من السير كارخاء الذئب في السرعة وتقريب كتقريب ولد الثعلب في وقوع قدميه موضع يديه . قال ابن قتيبة ان هذه الاوصاف الاربعة في بيت واحد مما يستجاد لامرئ القيس في وصف الفرس وكأنما على جانبي صلبه اذا اعتمد على رجليه مداك عروس اى حجر

يسحق عليه الطيب للعروس أو صلاية أى حجر يكسر به الحنظل اذا جف فيتخذ منه الهبيد وهو حبه

فهذا معنى قول امرئ القيس فى معلقته

وقد اغتدى والطير فى وكناتها   بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا   كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه   كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذبل جياش كأن اهتزامه   اذا جاش فيه حميه غلى مرجل
مسح اذا ما السابحات على الونى   اثرن الغبار بالكديد المركل
درير كخذروف الوليد أمره   تتابع كفيه بخيط موصل
له أيطلا ظبى وساقا نعامة   وارخاء سرحان وتقريب تتفل
كأن على المتنين منه اذا انتحى   مداك عروس أوصلاية حنظل

هذه الابيات الثمانية من وصف الفرس لامرىء القيس ذكر فيه الصخر والصفواء والغبار والقدر والخيط والفتل ولعبة الاطفال وحيوانات اربع وحشية والحجر اربع مرات وهى الصخر والصفواء والمداك والصلاية

ان امرأ القيس أغرب بعض الاغراب ثم لم يتجاوز فى الوصف الوحش والحجر ونحوها مما يراه العرب فى البوادى انه لم يتجاوزه الى ماهو أعلى . أفلا تصغى لآيات ذكرت فى وصف الجنة في سورة الواقعة :

(والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة [1] من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة [2] متكئين عليها متقابلين يطوف

«١» الجماعة «٢» المنسوجة بالجواهر

عليهم ولدان مخلدون بأكواب[1] وأباريق وكأس من معين[2] لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون[1] وحور عين[3] كأمثال اللؤلؤ[4] المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما واصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر[5] مخضود[5] وطلح[6] منضود[7] وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا[8] اترابا[9] لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين)

فذكر الاسرة والنساء والابكار والحور العين واللؤلؤ والكأس والأباريق والكوب والماء والظل ولحم الطير والفاكهة والنبق والموز . انظر وقارن بين القولين وتأمل الفرق بين الوصفين وتعجب من قائل أخذ عقل سامعه وطاف به في البادية وأراه الذئب يعوى والصخور والوحوش والغبار ثم جاس به خلال البيوت فلم يجد الا لعبة الاطفال وغلى القدر على النار والخيوط المجدولة وآخر طاف به في البساتين فأراه الاشجار والظلال وأجلسه في ظل ممدود وماء ينصب ونبق وموز وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ثم رجع به الى الديار فأراه الحور العين والابكار واللؤلؤ المكنون والكؤوس والاباريق ولحم

« ١ » جمع كوب اناء لا عروة له « ٢ » خمر تابع من عين . وفي قوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون اشارة الى ان الخمرة في الدنيا تصدع الشاربين و تزيل من عقولهم وهي في الجنة لا تصدع ولا تنشب بالعقول « ٣ » جمع حوراء المرأة شديدة سواد العين مع شدة بياض بياضها بيضاء الجسم « ٤ » جمع عيناء واسعة العين « ٥ » الجوهر المكنون اى المحفوظ في صدفه « ٦ » النبق « ٧ » الموز « ٨ » المقطوع شوكه « ٩ » المتراكب بعضه على بعض « ١٠ » المحببات لازواجهن « ١١ » هن اللواتي في سن واحد

الطير ثم برأ عقله مما يصيب الشاربين ورأسه مما يصدع رؤوس المخمورين لاعجب اذا اخذ الثانى بعقل السامعين فأنشأ دوله وكوّن امة وزال جهالة واثبت علما وحكمة هذا مرجعه علم المعانى واتساعها وصوغ الجمل صوغا جميلا والتنحى عن الغرابة فى احدهما ثم ضيق دائرة التصور والاغراب فى الآخر لاتنشأ امة مالم ينسجم انشاء المنشئين ولا تنال حظها من العلم والرقى اذا لم يأخذ الانشاء بمجامع عقولهم ويعلو بهم الى درجات الحكمة وتسهل مناهجه حتى تتناوله العقول عن كثب وهم يعلمون

من لطائف امرىء القيس في هذا الوصف ان ذكر أربع صفات للفرس في بيت واحد فشبهه بأربع من حيوانات متأبدة فاصغ لما يروى عن الأصمعى اذ لقى فتاة تناهز الرابعة عشرة وهى تقول اللهم اغفرلى ذنوبى كلها فقال الملك ذنوب قاتلك الله فقالت اللهم اغفرلى ذنبي كله قتلت قتيلا لغير حله فى منتصف الليل ولم أصل له فقال ما أفصح هذا الكلام فقالت أوتعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين اذ جمع فيه مابين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين — الامر أن أرضعيه وألقيه . والخبر ان خفت وأوحينا . والنهيان لا تخافى ولا تحزنى والبشارتان انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ـ هذا وهل لك ان تلق نظرك الى ما نظمه طرفة بن العبد فى معلقته . ماذا ترى . ترى أبياتا فى وصف الناقة نحو ٢٩ يصف دقيق اجزائها وسائر أحوالها ولما كان ايراد هذا يحدث السآمة عند القارى اجتزينا بذكر بيتين اثنين فى وصف عينها فقال ان لاقى عينين كالمرآتين

تلمعان قد وطنتا في كهفين واحيطتا بعظمين يسمى واحدهما الحجاج كأنهما حجر القلت أي النقرة تكون في الصخرة يستنقع فيها الماء فكان الحجاج كالحجر الذى فيه القلت والماء كنفس العين وهاتان العينان سليمتان تدفعان الأذى عن أنفسهما وهما واسعتان كعيني بقرة وحشية أخيفت ولها ولد فهي تحدق بعينيها لتتقى الصائد وتحفظ ولدها فهي أوسع ما تكون وحينئذ عينا وهذا معنى البيتين

وعينان كالماويتين استكنتا بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

طحور ان عوار القذى فتراهما كمكحولتى مذعورة أم فرقد

الماويتان المراتان . استكنتاسكنتا . الطحر الدفع . والعوار والقذى واحد وهما الرمص الذى يكون في العين . المذعورة البقرة الوحشية الخائفة والفرقد ولدها

قال الله تعالى في آية وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون وفي أخرى وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ـ أي انهن قاصرات الطرف على أزواجهن واسعات العيون يشبهن بيض النعام المغطى بريشة في النضرة وصفاء اللون والبياض المشوب بالصفرة اللامعة ومنهن من يشبهن اللؤلؤ المكنون في صدفه جمالا وحسنا وبياضا ولمعانا ـ ولأرك الآن ما ديجه لبيد ابن ربيعة العامري وكيف وصف الناقة كما وصفها السابقون بما لا يقل عن ثلاثين بيتا وشبهها تارة بالاتان الوحشية وقد ساقها الحمار الذى أحبها فهي فزعة مسرعة تعدو وقد شبهها بالبقرة الوحشية التى أكل السبع ولدها

يقول فتلك الآتان تشبه ناقتى أم بقرة وحشية أكل السبع ولدها فهي

مذعورة وقد خذلت أصحابها من الوحش وأقامت على ولدها ترعاه وتتلفت الى البقر فاذا رأتها طابت نفساً وعلمت ان القطيع لم يفتها بعد وهذه الخنساء أي التي قصر انفها كما هي خلقة البقر ضيعت الفرير وهو ولدها نواحي الشقائق وهي الاراضي الغليظة بين رملتين فيها طوافها وبغامها وهذا معنى قوله

أفتلكَ أم وحشية مسبوعة خذَلت وهادية الصوَار قوامها

خنساء ضيعت الفرير فلم يرم عُرض الشقائق طوفُها وبُغامها

الوحشية البقرة الوحشية. المسبوعة ما أكل ولدها السبع. والصوار القطيع من البقر. والهادية التي تهديه. وقوامها الذي تقوم به. خنساء من الخنس وهو تأخر الأنف. الفرير ولد البقرة الوحشية

ويرم. يبرح. وعرض ناحية والطوف. الطواف. والبغام صوت تختلسه البقرة

ويقول الله تعالى في وصف السحاب — ألم ترَ أنَّ اللهَ يُزجي سحاباً ثُمَّ يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق (المطر) يخرج من خلاله فاذ أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين (يائسين) فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (يزجي يسوق وركاماً متراكما بعضه على بعض) ونحن نقول فانظر الى آثار هذا الانشاء في الامة العربية وتأمل كيف أطلق الناس من ضيق سجين المعاني المحصورة وفتح لهم كنوز العلم وأباح لهم ان يتصرفوا في مناهج الكلام فلم يقفوا عند الناقة والجمل والحصان والجبل والبقرة والفرير والنعام والسرحان والحجارة والذؤبان بل أراهم السحاب والانهار والجنان والاعناب والحور

والولدان الا ان القرآن كشف القناع عن و ه الجمال فى الاوصاف بعد ان حجبتها الجاهلية وظلوا فى فلواتهم القفراء فنقلهم القرآن الى الحضر فانتقلت أشعارهم الى الجمال وأجسامهم الى المدن

قال النابغة الذبيانى يصف الفرات وأمواجه وسعته ومقايسة ذلك بجود النعمان فما الفرات الى اخره وقد تقدم شرحه

قال الله تعالى وهو الذى سخر البحر لتأ كلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

لحما طرياً السمك والحلية كالمرجان واللؤلؤ تتحلى بها النساء والاشراف والفلك السفن مواخر سائرات فيه تشقه وقال تعالى

وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً

مرج ارسل البحرين الملح والعذب برزخا وحجراً محجوراً لم يختلط احدهما بالآخر

فتعجب من الآيات وقارن بينها وبين الابيات ترى الرقة والسهولة وعلو المعانى فى الاول وبضدها تميز الأشياء

يقول النابغة الذبيانى ان البحر اذا هاجت امواجه واضطربت قطراته وقذف بالزبد لا يصل فى كرمه مبلغ كرم النعمان

ويقول الله تعالى ان فى البحر لعجائب ومنافع فيه اقواتكم من لحوم الاسماك وحلاكم من المرجان واللؤلؤ وعلى ظهره تسير سفنكم وهى تحمل

امتعتكم وتنقل بضائعكم لتسهل معاملتكم وتتبادلوا المنافع المقسمة فيما بينكم لعلكم تشكرون الله على ما به تتمتعون ويقول ان الله عز وجل جعل البحر الملح والحلو متجاورين فلا العذب أصار الملح عذبا ولا الملح جعل العذب ملحا فهما متجاوران لا يتغالبان ولا يفنى أحدهما فى صاحبه

قال لبيد بن ربيعة العامرى فى معلقته يصف حاله فى قبة النعمان بن المنذر ملك العرب ويفتخر بغلبته ورب قبة كثيرة الوفود التى تجتمع اليها من الآفاق وترجى عطاياها ويخشى ان يذم النازلون فيها وكأن تلك الوفود ابل غلاظ الرقاب اى اقوياء اجساما وقوى يتوعد بعضهم بعضا بالعداوات التى بينهم وكأنهم الجن فى امورهم ففى هذه القبة انكرت فخر من فخر على بالباطل وفخرت بحق ليس فيه باطل ولم يرتفع علىّ اكابر القوم وكرامهم وهذا معنى قوله

وكثيرة غرباؤها مجهولة ... تُرجى نوافلها ويخشى ذامها
غُلْبٍ تَشذر بالذُّحُول كأنها ... جن البدىّ رواسيا اقدامها
أنكرت باطلها وبؤت بحقها ... عندى ولم يفخر علىّ كرامها

وكثيرة غرباؤها أى رب قبة كثيرة الغرباء مجهولة عواقبها النوافل العطايا الذام العيب الغلب جمع اغلب الفحل عظيم الرقبة تشذر يوعد بعضهم بعضا الذحول جمع ذحل العداوة. البدى واد لبنى عامر رواسيا ثوابتا يؤت بحقها انصرفت لم يفخر لم يرتفع

هذه الابيات جاءت فى وصف قبة النعمان فى موضع الفخار وقال الله تعالى فى سورة النحل ولقد أتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذى

فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين. فانظر الانسجام والسهولة وعلو المعنى وتأمل وصف النابغة بالغلبة فى الخصام وقد ازدحمت القبة بالأعداء ووصف سليمان بالعلم والحكمة وفضله على كثير وكيف علم عجائب الطير ومنطقها وكيف أوتى من كل شيء وإنه فاز فوزاً مبيناً

ان ذكر ذوى المقامات الرفيعة والسجايا العلية يرفع من نفوس الناس ويجعلها فى مستوىً رفيع ومقام شريف فالتشبه من صفات النفس البشرية ان فى وصف العلم والحكمة وتعليم منطق الطير وملك اشياء عظيمة تشويقاً للنفوس ولذة بسماعها الا ان فى ذكر القبة وتوعد رجالها وجد الهم والفخر بغلبتهم مما يضع النفوس فى منزلة الصقور والنسور والسباع والوحوش فانها خلقت للفتك والاهلاك والغلبة فاما قصص سليمان ومافيه من العلم والحكمة فانه صرق للعقل منم للشعور حاث على الحكمة وسائق للفضائل هذا بعض مايخالج نفوس سامعى القولين وان لم يعبر عنه السامعون ولم يفصله القائلون

وقال زهير بن أبى سلمى المزنى

انظر ياصاحبي هل ترى فى المكان المرتفع من فوق الماء المسمى جرثم نساء فى هوادجهن لهن ثياب جياد وكلل أطرافها حمر كأنها لون الدم ولما ارتحلن جعلن جبل بنى أسد المسمى قنان عن أيمانهن وكم لهن بهذا الجبل من عدو محل لم يدخل الاشهر الحرم ومحرم دخلها والمعنى مررن على الاعداء في الاشهر الحرم وغيرها هذا معنى قوله

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن　　تحملن بالعلياء من فوق جرثم

علون بأنماط عتاق وكلة وراد الدم حواشيها مشاكهة الدم

جعلن القنان عن يمين وحزنه وكم بالقنان من محل ومحرم

الظعائن النساء في هوادجها العليا. الارض المرتفعة. جرثم ماء لبني أسد وعلون ارتفعن . والانماط ثياب والعتاق الجياد . والكلة الستر. ووراد حمر والحواشي الاطراف. المشاكهة المشابهة والمشاكلة. القنان جبل لبني أسد . والحزن ماغلظ من الارض والمحل الذي لم يدخل في الاشهر والحرم المحرم الذي دخلها وقال الله تعالى

أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون افرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم

تمنون تصبون في الارحام حطاما لاثمرة له.المزن السحب. تورون توقدون المقوين هم النازلون في القواء.الصحراء وهم المسافرون

فتأمل كيف تنزل بنا زهير وهو أحد الاربعة المشهورين الى أن نبصر النساء في الهوادج في طريق العلياء وفي جبل بني أسد ولهن أعداء وهن يمرون عليهم أيام الحل والحرم ثم تعجب كيف تعالى بنا القرآن عن التافهات

من المعاني الى مستوى نسمع فيه ايات الجمال والحسن والعبرة والحكمة فاستبدل الظمائن وأحوالها بالسحائب والماء والنبات يقول انظروا في خلق الانسان من ماء ثم كيف طلع النبات بعد ان حرثتموه أأنتم الذين افضتم عليه نعمة الحياة وهل ماء المطر انتم المنزلون له من السحاب وهل النار التى توقدونها انتم دبرتم نواميس ايقادها حتى انكم باقل فرك وعرك فى الزناد يثور اللهب بهيئة عجيبة وهل أنتم كنتم منشئين لهذه الاشجار الخضر التى تتقد ناراً بحركها وكيف يجتمع الماء والنار في شجر المرخ وشجر العفار اللذين تحركونهما فيحترقان وهما أخضران أليس فى ذلك ذكرى لكم وعبرة لعقولكم ومنافع للمسافرين منكم يتمتعون بها

قسم زهير بن ابى سلمى

يقول زهير للحارث بن عوف وهرم بن سنان من بنى غيظ بن مرة

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

يقول اقسمت بالبيت الذى يقصده الناس للطواف حوله لنعم السيدان كنتما على كل حال من سهولة الامر وصعوبته

ويقول الله أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون

تأمل القسمين وكيف تعالى بالناس الى مواقع الكواكب المضيئة فى اكناف السماء ثم أعظم القسم فقال ما أجل هذا القسم لو علمتم حرمته تشيقا لمعرفة النجوم لفضلها وللنظر فى علم الفلك وتشويقاً الى العالم العلوى الجميل

ليدركوا جمال الحكمة وبهاءها وينظروا عجائب صنع الله عز وجل يقول اقسم بالنجوم ان هذا الكتاب قرآن كريم فى كتاب مكنون لا ينال حكمته ولا يمس ابكار معانيه الا المطهرون ذوو النفوس الشريفة والعقول الحكيمة

قال النابغة فى القسم اعتذارا للنعمان واصفا الكعبة

اقسم بالبيت الذى زرته سنين وبما اريق من الدماء على الاصنام وبالله الذى أمن الطيور اللاجئات للحرم يمسها تبركا بها ركبان مكة السائرون بين الماء الخارج من جبل ابى قبيس المسمى الغيل والسند وهو سفح الجبل

أقسم بما ذكر انى ما أتيت بشئ انت تكرهه اذن فلا جعل الله يدى ترفع الى سوطى وهذا معنى قوله

فلا لعمر الذى قد زرته حججاً	وما هُريق من الانصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير يمسحها	رُكبان مكه بين الغيل والسند
ما أن أتيت بشئ أنت تكرهه	اذن فلا رفعت سوطى الىّ يدى

ويقول الله تعالى متعاليا عن اقسام المخلوق رافعا العقول البشرية الى مستوى الافلاك ومناط الأملاك والجمال ليثير العقول من مكامنها والأفكار من وكناتها ويستحث الناس بقسمه ووصفه لبدائع حكمته على النظر فى العالم قال تعالى «والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها»

فتعجب كيف أخذ يقسم بالشمس اذا ظهر نورها والقمر اذا اتبعها والنهار اذا اظهرها والليل وظلمته والسماء وبنائها والأرض ودحوها والنفوس وحسنها

وما الهمت من الخيرات وما اودعت من الشرور اقسم بهذا كله أن من طهرها فقد افلح ومن دنسها فقد خاب

تعجب في هيئة القسمين وتأمل فى القسم بهما تعرف الفرق بينهما

(أول معلقة طرفة بن العبد وأول سورة النحل)

لقد قارنا بين الوصف المطلق والوصف المقيد بالقسم ونريد أن نذكر الوصف المبتدأ به فى كلام العرب والقرآن

قال طرفة بن العبد

ان لخولة محبوبته أطلالا أى ماشخص من آثار الديار حتى يرى بأرض ذات حجارة مختلفة الألوان يصبرعنها ببرقة بمكان يقال له ثهمد لبنى دارم وتلك الآثار تبرق كأنها الوشم فى ظاهر اليد وقد وقف اصحابى مطاياهم لأجلى وقالوا لاتهلك من اجل حزنك عليها وتجلد وكأن الهوادج المخصوصة المسماة بالحدوج تحمل تلك الفتاة من بنى مالك في أوائل النهار سفن عظام فى مسيل الماء الجارى الى المكان المسمى دَد وهذا معنى قوله

لخَولة أطلال بُبرقة ثهمد يلوح كباقى لوشم فى ظاهر اليد

وقوفا بهاصحبى علىّ مطيّهم يقولون لاتهلك اسى وتجلد

كأن حُدوج المالكية غُدوة خَلاياسفين بالنّواصف من دد

الحدوج جمع حدج مركب من مراكب النساء المالكيه من بنى سعد بن مالك . خلا ياجمع خليه السفن العظام . النواصف جمع ناصفه وهى مسيل الماء المتسع ودد اسم مكان

ثم قال كان هذه السفينة من سفن عَدَولىَ وهى قرية بالبحرين أو من

سفن بن يامن ملاّح من أهل البحرين وتلك السفينة يجور بها الملاح فيضل الصراط السوى تارة ويهتدى على الاستقامة أخرى فيسير وان حيزومها أى صدرها يشق زبد الماء موجه كما يقسم التراب الرجل الذى يصنع الفيال بيده وذلك ان توضع الخبيئة فى تراب او رمل ويقسم بيده ففى ايهما كانت الخبيئة فالحكم تابع فى القمار له او عليه هذا معنى قوله

عَدَوْليّة أو من سفين بن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها بها كما يقسم الترب المفايل باليد

واذ سمعت ابتداء معلقة طرفة بن العبد فاسمع الآيات فى مبدأ سورة النحل وتعجب كيف جاء هذا القول مباينا لما يقرع آذان العرب فى افصح كلامهم قال

اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين « يقول كان الانسان نطفة فصار بشرا سويا فخاصم وجادل فى ربه وحاول اقامة الحجج على أنكاره أو ليس من العجب العجيب ان يكون نطفة قذرة لا عقل له ولا حس ولا حياة فيصير بشرا سويا يعقل وينطق ويشم ويدرك الجمال ثم يجادل فى الذى سواه وخلقه ان ذلك لعجب عجاب « ثم قال والانعام خلقها لكم فيها دفء « ماتستدفئون به » ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين « يقول والله اعلم ان على الله هداية كم

للصراط السوى ولكن أقواما يجورون فيسيرون على غير هدى » وهو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون

ألا تتعجب كيف ذكر خلق الانسان من ماء مهين ثم تلاه بخلق الحيوان ثم أتبعه بالنبات متدليا من أعلى الى أسفل مع ذكر الماء ثم رقى فى أسباب هذه المواليد الثلاثة فاخذ يشرح عجائب الليل والنهار والشمس والقمر ثم عمم فذكر بقية الدراري اللامعات فى السماء فقال (والنجوم مسخرات بامره) ثم تلاها بما يوازيها فى الجمال وهو ما فى الارض من ذوات الالوان الجميلة من كل نابتة ونسمه حية واعقبه بالبحار الملحة ذات الزخارف والزينه من المرجان والجواهر المضاهية فى جمالها والمشاكلة فى حسنها تلك اللوامع والنجوم المشرقة والاصباغ البهجة فى النبات الناجم والشجر البهج البديع أفليس عطف البحر لما فيه من الجمال والبهاء والزينة على ما فيه الالوان

البهجة من النبات والنجم من أعجب ما ننمه أولو الالباب ثم تلاه بالجبال والسفن والانهار والسبل والاهتداء ولا جرم ان السفن تناسب الأنهار لتمخرها وتوافق السبل والاهتداء بالنجم في البر والبحر والسفن وللسفن بالنجم أشد العلاقات ان في ذلك لآيات . تعجب من هذه المعاني وطف من بعد ما بيناه آفاق القصائد في الجاهلية فهل ترى الا الظعائن والحدوج والنياق وبرقه وثهمد التي تشبه الوشم كما في قول طرفة بن العبد المتقدم وكما تراه في قول زهير بن أبي سلمى اذ ابتدأ قصيدته بذكر أم أوفى وهي محبوبته اذ يقول أمن منازل محبوبتي أم أوفى دمنة أي آثار مسودة بالبعر والرماد سألتها فلم تتكلم وتلك الدمن بمكان غليظ أي الحومانة التي بالمكان المسمى بالدّراج والمكان المسمى بالمتثلم ثم قال ولها دار بين روضتين وهما الرقتان احداهما قرب المدينة والاخرى قرب البصرة كأن تلك الدار اذ عفت اثارها ما على ظاهر اليد من الوشم المكرر في نواشر المعصم والنواشر اعصاب الذراع واحدتها ناشرة فبهذه الدار ترى العين أي البقر الوحشي ذات العيون الواسعة والآرام الظباء الخالصة البياض يمشين ويخلف بعضهن بعضا وانهن ينمن أولادهن واذا ظنن أن أولادها خلت اجوافها صوتن بهن فينهض من كل مجثم أي امكنة نومهن فيرضعن وهذا معنى قوله

امن ام اوفى دمنة لم تكلم	بحومانة الدراج فالمتثلم
ودار لها بالرقتين كأنها	مراجيع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة	واطلاؤها ينهض من كل مجثمْ

المعصم موضع السوار من اليد ـ العين جمع عين عيناء البقر الوحشي

اسمة عينها الاطلاء جمع طلا وهو ولد الظبيه والبقرة

قارن هذا المبدأ الذي لا يتعدى بيت أم أوفى والدمنة التي لا تكلم والارض الغليظة وبقر الوحش والظباء يتبع بعضها بعضا وهن يرضعن أولادهن افهمه وتأمل مقاصده وكيف تقاربت اوائل القصائد في تلك المعانى الما كفة على البيداء وأطلالها والبطحاء وبعرها والبقر وأطلائها لايجدها تتعدى دائرة ضاقت فلم توسع نطاق المقول وعريت عن اكثر جمال الطبيعة فعادوا عن اتساع نطاق المدنية وظلوا في البيداء متشاكسين وانظر قوله تعالى في أول سورة الانعام اذ يقول (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا وأجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون)

ابتدأ بالحمد على أنه خلق السموات والارض وهما العالم العلوي والسفلي وما يحيط به من انوار النهار وظلمات الليل ومع ذلك ترى الكفار يعدلون بالمبدع لهذا الجمال سواه وكيف تكفرون به وهو الذي خلقكم من طين فجعله نباتا فاكله الحيوان فصار الطائفتان طعام الانسان فصار الطعام ماء دافقا فنشأ منه بشر سوي فجعل له أجلا لموته وله أجل آخر لحياته الاخرى ثم أنتم أيها الناس بعد هذه العجائب والحكم تكفرون وكيف تكفرون به وهو الذي احاط علمه وشملت قدرته اكناف السموات ونواحي الارضين فلا جرم يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتفعلون من خير ومن شر اليس في ذكر الظلمات والنور تشويقا لنفوس الناشئين الى جمال الانوار فيعشقون

محاسن أنوار النجوم والاقار وبهاء الشمس وتنطبع على الواح قلوبهم صور لانوار المتلألئة من النار والشررات المتطايرة من الزناد ومن نور الكهرباء وجمال المصابيح وغير ذلك

لن تقوم امة الا بالكلام البليغ المملوء حكمة وصورا جميلة من المعانى البديعة. ان نقش صور العجائب السماوية والارضية وانارة العقول بفهم الجمال فى اكناف العوالم احياء لها واخصابا لمزارعها وانماء لما اجنت من الفضيلة والحكمة ان الامم توابع لما يسمعون وهم ابناء مايعطون الا ان الجمال فى الانشاء واختيار احاسن القول والتطواف بالقارىء فى الانوار والظلمات والنجوم والبر والسهل والجبل وايرائه دقائق الاشجار وبدائع الازهار وأعاجيب الثمار وتلألؤ الانوار وبهجة الاصباغ أن ذلك لمحى نفسه وشائق روحه الى التطلع الى درجات المعانى فيرى الفضيلة خيرما يبتغى ويحيط علما بامته ويتعالى عن السفاسف ويتهيأ للحكمة ولقيادة الافكار فى القرى والامصار

﴿ أقسام العرب وأقسام القرآن ﴾

جرت عادة العرب ان يقسموا بلفظ اقسم كقوله

فاقسم ان لو التقينا وانتم　　لكان لكم يوم من الشر مظلم

وبلفظ يمين كقوله

فقلت يمين الله ابرح قاعداً　　ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى

وبلفظ العمر كقوله

لعمرك ما أدرى وانى لاوجل　　على اينا تعدو المنية اول

وبلفظ يمين قال زهير

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

ومن عجب ماترى من اقسام القرآن فتراه يقسم بما لم يقله عربى قط قال اقسم بالشفق والليل وماوسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق يقول احلف بما ترون من ذلك النور المتوسط فلا هو غاية فى الاضاءة لا هو حالك الظلام أرسلته الشمس بعد مغيبها وعكسته على السحب الماكثة فى جهات المغارب المسماة بالشفق وبالليل وما جمع من كل مخلوق نائم ومتحرك وساكن وبالقمر اذا تم ضوءه وتكامل نوره وبالجملة يقول اقسم باحوال الليل من أنواع الانوار المختلفة وما أجن الليل من مخلوق فى الارض انكم معاشر الانس ستنقلون من حال الى حال من هذه الحياة بالرقى فى المدنية أو أن تخلف دولة دولة وبالانتقال من الحياة الى البرزخ الى جنة أو الى نار كما يكون الليل بالوانه الثلاثة على الاجسام وكان القسم جاء تمهيدا للقضية المقسم بها وتشبيها لها وتنظيراً اوكشبه العلة لشبه المعلول فحركات الافلاك تحدث الانوار والظلمات وتحيط بالمخلوقات ومنها الانسان الذى قضى عليه بالتنقل فى الدنيا من حال الى حال تبعاً لحركات الاجرام السماوية بتقدير العزيز العليم الذى دبر الخريف والربيع والشتاء والصيف والدهور والعصور فاختلفت الدول والممالك باختلاف الاحوال العلوية والحركات الفلكية ثم يأتى بعد ذلك يوم الدين وحشر العالمين فاما فى جنة واما فى جحيم

وقال اقسم بالليل اذ يعطى كل شيء وبالنهار اذا ظهر وبخلق الله الذكر والانثى من انسان وحيوان ونبات بالتزاوج والالقاح ان اعمالكم مختلفات فاما من جاد بالمال واتقى عذاب ربه وصدق بالحسنى فله اليسر يوم القيامة

وأما من بخل بالمال وأعرض عن الله وكذب بالدين فسيكون في عسر

أقسم باختلاف الليل والنهار والذكور والاناث كالدليل على اختلاف مساعينا في حياتنا وثمراتها بعد موتنا قال (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى فامامن اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأمامن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وقال (أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين) في هذا اقسام بكل ما ذرأ الله مما يحس بالحواس من الجواهر والعناصر والمعادن والنبات والحيوان والافلاك والانوار وكل ما لا يبصر من القوى والعقول والنفوس والارواح وما فوق ذلك من ملائكته والمقسم به ان القرآن كلام نزل به رسول كريم على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والرسول هو جبريل عليه السلام يقول في القسم ان المخلوقات قسمان محسوسات ومعقولات وجبريل من اخر القسمين أفلا تؤمنون وليس من قول شاعر ولا كاهن مما ترون (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) وقال

(والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر. أقسم بالفجر وبالليالي العشر الاولى من الشهور العربية لازدواج ظلامها بضيائها كما ان الفجر نوره مزدوج بظلامه وأقسم بالاعداد كلها ازواجها وافرادها وما حوت من اسرار الارتماطيقي والخواص المدهشة العجيبة وبالليل اذا يسر مقبلا ومدبر (ان هذا القسم عجيب لم يسمعه العرب ثم قال

هل في ذلك قسم لذي حجر ثم اتبعه بقوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الخ) كان المقسم به محذوف تقديره ان الكافرين لا محالة هالكون لانا ابنالهم فجر الحكمة ومبادىء العلم كانها أوائل الشهور فان هلال الحكمة يبتدىء ضئيلا ثم يتسق ويمتلىء وحسبنا اعمالهم شفعا ووترا فلم يؤمنوا فسنعذبهم مرتين في الدنيا بالخزى وفي الاخرة بالنار كما فعلنا بعاد وثمود وفرعون (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد)

انذار من الله للأمم التي أضاء لها نور العلم فأشرقت على وجوههم الحكمة ان هم لم يقتبسوها ولم ينتفعوا بها اهلكهم كما أهلك الأمم البائدة كما حصل لأهل امريكا الحمر الاصليين وكما فعل بمسلمى الاندلس اذ أراهم اتحاد الاسبان والاتحاد نور من الله فلم يتحدوا فصب عليهم ربك سوط عذاب وهكذا كل أمة ودولة انذرها علماؤها وعلمها حكماؤها فتجاهلت الانذار وتغاضت عن الحكمة ساء مصيرها وقطع دابرهم كدولة الرومان اذ عصوا حكماءهم في أواخر عهدهم وادبار سعدهم فاخذتهم صاعقة العذاب الهون وتكأكأت عليهم الامم المتوحشة فورثوا أرضهم وديارهم واموالهم وعلومهم وقوانينهم. اذ في الفجر وليالى الشهر الاولى أضواء ضئيلة ستؤول للكمال باشراق الشمس وتمام البدر فمن عطل اتمام نور فجر الحرية والحكمة وهلال العلم والمعرفة باء بظلام حالك واضحى من الهالكين وهذا بطريق الاشارة والمفهوم يشاره الى الامم التي ظهرت فيها مبادىء الحكمة واوائل الحرية

انها ستنال قسطها من الحكمة وحظها من الحرية اذا هي سمت لاتمام الانوار ولم تقف في سبيل العلم كما يصير الفجر نهاراً والهلال بدراً كاملا

﴿ المبادىء والخواتيم في كلام العرب والقرآن ﴾

ابتدأ طرفة بن العبد معلقته بقوله ان لخولة محبوبتي أطلالا بالموضع الذي يخالط ارضه حجارة وحصى بالمكان المسمى ثهمداً فتلمع تلك الاطلال لمعان بقايا الوشم في ظهر الكف وقد وقف أصحابي لاجلي مطاياهم عند الدار يقولون عليك بالتجلد والصبر ولا تنجع نفسك على آثارهم وهذا معنى قوله

لخولة اطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي على مطيهم   يقولون لاتهلك أسى وتجلد

واختتمها بقوله ستظهر لك الايام مالم تكن لتعلمه ويأتيك بالاخبار من لم تعطه زاداً في السفر ولم تبعه زادا ولم تعده أي وعد

ستبدي لك الايام ماكنت جاهلا   ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لا تبع له   بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد

وابتدأ في القرآن سورة الرحمن بقوله

ان الله عز وجل علم الناس القرآءة ومنها هذا القرآن وقد خلق اشرف المخلوقات وهو الانسان فعلم كيف يعرف مقاصده ومعارفه ومما افاض عليه من العلم وما اوحى اليه من الحكمة ان الشمس والقمر يجريان في الفلك بحسبان عرفه المقومون وحرره المنجمون والنبات والشجر خاضعان لنواميس الحكمة النظامية في الكون ينموان على مقتضى سير الكواكب السماوية في الحر والقر والصيف والشتاء وقد رفع السماء ورتب العالم على اساس متين

ونظام عجيب بميزان وزن به العوالم ليريكم كيف تزنون اخلاقكم وآراءكم واعمالكم فلا تزيدون ولا تنقصون ولقد وضع الارض للعباد خاصة بالفواكه من سائر الاصناف وذرأ النخل ذات التمر المسمى بالطلع فى اغطيته المسماة بالاكمام والحب ذا التبن وكل زرع ذى رائحة طيبة فبأى نعم الله يكذب الانسان والجان وهذا قوله تعالى

(الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ان لا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فبأى آلاء ربكما تكذبان)

وختم السورة بوصف الحور العين ويقول انهن مخدرات محجوبات لا تراهن النظار ولا تتطاول اليهن الاعناق حور مقصورات فى الخيام واهل الجنة متكئون على رفرف خضر بهجة للناظرين على اعجب المصنوعات وابهاها من العباقر البهجة وتلك الحور أبكار لم يفترعهن من قبلهم احد من الانسان والجان

ثم جمع السورة كلها فى وصفين اثنين أولهما انه ذو جلال وعظمة لما خلق مما وصفه فى أول السورة من خلق الارض والسماء والانسان الخ وذو كرم يفيض الخير والاحسان على عباده بما طرز به آخر السورة من وصف الجنة ونعيمها والابكار وخيامها والحور وجمالها . والرفارف وخضرتها والعباقر وحسنها والابكار وبهائها واهل الجنة ونعيمها تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام

وهاك شعر النابغة الذبياني ابتدأ قصيدته بقوله

يا أصفاني دارمية بجوتي بالعلياء وآخرى بالسند انها اقوت وطال عليها الزمن وقفت فيها طويلا وانا اسائلها فعيت عن الجواب وليس في الدار من احد

يادارمية بالعلياء فالسند	اقوت وطال عليها سالف الامد
وقفت فيها طويلا كى اسائلها	عيت جوابا وما بالدار من احد

وختمها بقوله

هذا الثناء فانه تسمع لقائله	فما عرضت ابيت اللعن بالصفد
ها ان ذي عذرة ان لم تكن نفعت	فأن صاحبها قد تاه في البلد

(الصفد العطاء) (العذرة المعذرة)

وقال الله تعالى ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أأذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ماتنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهو في امر مريج افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما بها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماءمباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج

يقول والله اعلم أنهم عجبوا لما أن جاءهم نذير منهم ارسله الله لهم وقالوا هذا شيء عجيب كيف نحي بعد ان نموت ونحور ترابا ان هذا الرجوع

عجيب وكيف يعجبون وقد علمنا ماتقصت الارض من انفسهم وما اكلته من أجسامهم وما اكلته من لحومهم وعظامهم وكل ذلك في كتاب عندنا محفوظ وكيف يعجبون منه وهو الحق وهم كذبوا بالحق لما جاءهم وكيف يكذبون به وهو الحق افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف حسنا هندامها وسوينا شكلها وبنيناها بالموادالاثيرية الجميلة التي لاترى وزيناها بالنجوم الباهرة ومالها من شقوق على طول امدها وكرور الدهور والعصور عليها والارض مددناها والقينا فيها الجبال رواسي وانبتنا فيها من كل نبات ينبت من ابوين ذكر وانثى ذي انواع مختلفة حسنة الهندام جميلات الاشكال فتراها بهجة للناظرين وانما ذلك تبصرة للناس وذكرى ليعلموا أن كل نبات له زوجان ذكر وانثى ولاجرم ان هذا برهان على نظام تام عجيب دال على أن الصانع لهذه العجائب لا يصنع العالم بلا حكمة ولاجرم ان هذه نابتة بالماء وأنزلنا من السماء ماء مباركا كثير الخيرات والثمرات فانبتنا به حدائق ومزارع فيها حب الزرع الذي يحصد والنخل طويلات ذات طلع متراكب بعضه على بعض رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتاً

فاذا كان الله عز وجل بنى السماء وزينها بالنجوم وأنزل منها ماء كثير البركات فاخرج الحب والنخل والبساتين فكل فعل من أفعاله صنع لحكمة وغاية فكيف يخلق الانسان سدى ولئن عجبتم من هذا فكيف لا تعجبون من انزال الماء وسقيه للنبات والشجر ثم يصير رزقا للعباد تارة وتبصرة اخرى أفلا تبصرون ان خروج الناس من القبور بعد موتهم كخروج النبات من الحب في الارض بعد موتها وختمها بقوله انا نحن نحيي ونميت والينا المصير

يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر ما القرآن من يخاف وعيد

فتعجب كيف جاء الآخر مطابقا للاول والانتهاء على مقتضى الابتداء والاخرى نتيجة الاولى فانه شرح تعجبهم من الحشر وتكذيبهم ثم شرع يبرهن لهم بالمحسوسات على امكان الحشر وختمه بقوله انا نحن نحيى ونميت والينا المصير بما برهنا سابقا ثم شرح كيفيتها ان تشقق الارض عنهم ويكشفها كما تشقق عن الزرع والشجر ثم قلل من مقدار الاستبعاد وقال ذلك حشر علينا يسير ثم اخذ يهددهم فقال دع أمرهم لنا فنحن اعلم بمقدار ذنوبهم ولست عليهم بمسلط انما أنت نذير فذكر من ترى عليه مخايل الذكاء والفهم ويخاف الوعيد ولا تذكر سواه فما أضيع القول عنده فذكر بالقرآن من يخاف وعيد

مقارنات بعض معارف العرب بآيات القرآن

لنذكر الآن نبذة مما رآه العرب فى العوالم المحيطة بنا لتعلم الفرق بينه وبين ماشابهه من آيات القرآن فى المعنى ولتقف ببصيرتك على المعانى وصدقها والالفاظ وسبكها والعلوم وفقهها نذكر لك هذا لئلا تقف عندقولك كلام القرآن ابلغ من كلام العرب يلوكها المرء بلسانه وهو لا يشعر بحقيقتها ولا تسمو ببصيرته الى استكناهها كبر مقتا عند الله ان يقولوا مالا يعلمون

ولنبدأ بقول أمية بن أبى الصلت فى الشمس والقمر ثم نتبعه بآيات من القرآن قال أمية

انما يخسف القمر اذا دخل في جرابه المسمى بالساهور وهذا معنى قوله (قمر وساهور يسل ويغمد) وقال فى سبب طلوع الشمس أن الشمس اذا غربت

امتنعت عن الطلوع وقالت لا اطلع على قوم يعبدونني من دون الله حتى تدفع وتجلد فتطلع وهذا معنى قوله ليست بطالعة لهم في رسلها الا معذبة ولا تجلد

وكان يسمي السماء في شعره الصاقورة والحاقورة وبرقع ويقول في الله تعالى

هو السلطليط فوق الارض مقتدر

وهذه الالفاظ ادخلها في اللغة العربية وليست بعربية ولا معربة ويقول الله تعالى في الشمس والقمر والنجوم وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون

يقول أن من آيات الله تعالى لأولئك الجاحدين الليل نسلخ منه النهار المغشي للنظام الارضي كما يسلخ جلد الشاة عن جرمها فتظلم الآفاق ومن الآيات هذه الشمس المضيئة تجري في رأى العين في مستقرها وهو فلكها الجارية هي فيه. الشمس تجري بحركات منتظمة لا خلل فيها فلا تتقدم ساعة ولا تستأخر عما رسم لها ذلك النظام العجيب تقدير العزيز الغالب لكل شئ فقهره على نظامه العليم بتلك النواميس فلا يزال يجري الكواكب على سننها وقوانينها. ومن آياته القمر يجري في منازله الثمانية والعشرين يتمها في شهر قمري حتى يعود كالقنو المقوس المصفر النحيل حركة القمر أسرع من حركة الشمس ودورتها سنة ودورته شهر لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر لأنه أسرع منها ولا الليل سابق النهار فيجيء قبل أوانه لانهما اقتسما الزمن في

السنة بينهما مناصفة فما زاد من احدهما نقص من الآخر ومجموع أيام النور في العام مساو لمجموع ليالي الظلمة وليس الجري خاصا بالشمس والقمر والارض بل يعم سائر الكواكب (وكل في فلك يسبحون) وانما ذكرنا الارض من جملة الكواكب لانه يقول (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم افلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) ان من آيات الله تعالى الارض تراها قفراء لا نبات بها ينزل عليها المطر فيحييها بعد موتها وتخرج منها الحبوب يأكلونها انزلنا عليها الماء فاهتزت وربت وأنبتت من كل حب يؤكل كالقمح والذرة وغيرها وأنبتنا فيها بساتين ذات نخيل وأعناب وفاكهة مما يشتهون ولما كان المطر لا ينزل كل يوم وساعة خزناه في الجبال وابقيناه في أحافير في بطنها ومطامير واخاديد في أجوافها ووضعنا بعض الماء فوق رؤوس الجبال وسلطنا عليه البرد فجمده فصار ثلجا ثم انزلنا على ما فوق الجبال وما في باطنها انواع المسيلات للماء كحرارة الشمس تسيل الثلج فوق الجبل وكانتفاخ الثلج في باطن الجبل فانفجرت الصم الصلاب من الصخر فجرت العيون تسقي الشجر والزرع على مدى الايام صيفا وشتاء وهذا من قوله (وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره) ولا جرم ان هذا لم يكن بعمل الكهرباء ولا تسليط الحرارة من الانسان ولا يسقي الدواب (وما عملته أيديهم أفلا يشكرون)

سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما

لا يعلمون ثم قال وآية لهم الليل نسلخ منه الخ واتمه بقوله وكل فى فلك يسبحون (ولفظ كل تشمل الارض)

المقارنة الثانية بين قس بن ساعده الأيادي وآيات من النحل

لم نر في العرب القدامى من وصف العالم بمثل ما وصف قس بن ساعدة الايادي قال يصف هذا العوالم ويستدل على الله

هاج بالقلب من هواه ادكار وليال من خلفهن نهار
ونجوم يحثها قمر الليل وشمس فى كل يوم تدار
ضوءها يطمس العيون وأعاد شديد في الخافقين مطار
وغلام واشمط ورضيع كلهم فى التراب يوما يزار
وقصور مشيدة حوت الخير واخرى خلت فهن قفار
وكثير مما يقصر عنه حوشة الناظر الذى لايحار
والذى قد ذكرت دل على الله نفوساً لها هدى واعتبار

ويقول الله تعالى في سورة النحل والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون وهذه ظاهرة مما سبق وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون

يقول ان في الابل والبقر والغنم لعظة واعتبارا تسام في مرعاها فتأكل الحشائش والكلاء والبرسيم فيستحيل الى كيموس يقسم بعد ذلك قسمين فرثا ودما ومن الدم يكون اللبن خالصا من الفرث واللبن لايغص شاربه ومن الايات الدالة على حكمته تعالى مايتخذ الناس من ثمرات النخيل والاعناب من المنافع والرزق الحسن الجميل وأوحى ربك الى النحل وألهمها بفطرتها الالهية ان تتخذ لها في الجبال بيوتا تملأها عسلاوان تجعل لها في الاشجار دورا ومساكن تناسب أجسامها وتوافق حياتها ونظامها في معايشها وان تسكن ما يعرش لها الناس من الخلايا في البيوت ليقتسموا معها عسلها كما اقتسموا مع النعم البانها ثم قال لها كلى من زهر كل ثمر لاتروعك الايام ولا يصدك عن سبيلك صاد فاسلكى سبل ربك التى سنها لك في عالم الاشجاروالازهار مذللة مسهلة اذ تفتحين زهرة نوع من النبات فتشربين من رحيقها المختوم المصون لك في قمورها وقد نظمت أزهار كل نوع من أنواع النبات وتشابهت وتساوت اوراقها وهى بهجة للناظرين جمالها شائق لك وبهاؤها يجعلك مبصرة تهتدين اليها فاذا فرغت من ارتشاف العسل من زهرة دلفت الى زهرة أخرى من النوع نفسه فلقيت شبها بين الزهرتين ففتحتها على طرز الاولى فلم تنصبي بعمل جديد « فاسلكى سبل ربك ذللا » ولما كان العسل على مقتضى ما جناه النحل من أنواع النبات الذى امتصه منه قال (يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس) اليس من العجب ان يكون حلو الطعم شفاء

من السقم ثم انه اصاب نحاة لم ترد شفاه ولم تعلم ابوتى ذوقنا ثم كان عصارة نبات ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون فيفقهون اصاحبها

المقارنه الثالثه

قال قس وهو افصح من وصف العالم المنظور من العرب فيما علم

ايها الناس اسمعوا وعوا اذا وعيتم شيئا فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وارزاق واقوات واباء وامهات وأحياء واموات رجمع واشتات وايات بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات أبراج وارض ذات فجاج وبحار ذات أمواج مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حقا لا حانثا فيه ولا اثما ان لله دينا هو خير من دينكم الذى انتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم أوانه وادرككم أبانه فطوبى لمن أدركه فامن به وهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال

تبا لارباب الغفلة والامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد اين الاباء والاجداد واين المريض والعواد وأين الفراعنة الشداد واين من بنى وشيد وزخرف ونجد اين المال والولد اين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال أنا ربكم الأعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا واطول منكم آجالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بطوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاليه عمرتها الذئاب العاويه كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشأ يقول

فى الذاهبين الاولـــين من القرون لنا بصائر

لمـا رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومى نحوها يمضى الاصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى الىّ ولا من الباقين غابر
ايقنت انى لامحـالة حيث صار القوم صائر

وقال الله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أ اله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لهـا رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ا اله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون وقال أيضاً ألم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتاً (راحة لابدانكم) وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا (أى من السحب ماء صبابا) لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً ان يوم الفصل كان ميقاتاً يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبواباً وسيرت الجبال فكانت سراباً

يقول ان السماء تصير كالسراب وهو مايرى وسط النهار كانه ماء وليس بماء. السراج الوهاج الشمس. الرواسى الجبال والبحران الحلو والملح وفى القرآن نحو سبعمائة آية فى هذا المعنى

وتذكر ايات من سورة النحل سبق ذكرها فاقرأها وقارن وتأمل وتعجب

المقارنة الرابعة

ذكر النابغة الذبيانى فى قصائده خبر الفتاة الاعرابية التي صدق حديثها

وصادفت الحقيقة

قال واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت   الى حمام سراع وارد الثمد الخ

انظره فى الكلام على النابغة الذبيانى فيما تقدم

وذكر هذه القصة النابغة الذبيانى تذكيراً بالعدل فى القضايا والصدق فى الفراسة وفى مثل هذا يقول الله عز وجل حاثاً لنا على العدل ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب

يقول الله لداود انا اصطفيناك لتكون نائباً عنا فى الفصل بين الخصوم والعدل فليكن حكمك عدلا تحقيقاً للنيابة عنا واتبع الحق ولا تتبع هواك لئلا تحيد عن سواء الصراط فان القضاة الجائرين وسائر الضالين الذين لا يرتبون أعمالهم ولا يحسنون حساب ماعهدلهم فاولئك يحاسبون ويعذبون لما ضلوا الصدق وتنكبوا الحق واذا كنت ياداود خليفتنا فاياك أن تحكم باطلا وتخلق بأخلاقنا فى العدل والصدق ونحن ما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وانما أعمالنا جارية على نواميس حكيمة وقضايا صادقة فاحرى بالسير على منوالها فى الحق والصدق القضاة والحكام ثم ضرب مثلا من أمثال عدله تقريبا لها الى القضاة وتمييز ما بين المحسن والمسىء وتبيانا لنظام العدل فى المخلوقات فقال سبحانه وتعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا

الالباب يقول وهل يليق بجلالنا وعظمتنا ان نسوى بين من أتوا العلم واتقنوا العمل و بين الذين هم جهلاء مفسدون فى الارض وهل يستوى اهل الصلاح والتقوى واهل الفجور والفسوق

فانظر عظة النابغة الذبيانى وحكمة القرآن اذ قص الاول نظر الفتاة الى الحمام وورود الماء وأحاطة الجبل به وحدة عينيها وانها كالزجاجة لم ترمد ثم تمنى الفتاة أن يكون الحمام لهـا وعدها اياه ثم موافقة حدسها لتحقيق الحساب وجاء في الثانى خطاب داود عليه السلام ونداءه بانه خليفة فى الارض ايقاظا للقضاة ان يحكموا كما يحكم الله بالعدل ونهيهم عن الهوى وتحذيرهم من الضلال والوعيد الشديد ومقابلة حساب الآخرة بحساب القضاة فى أعمالهم وانهم ان لم يقوموا بالقسط فى حسابهم يحاسبون على تقصيرهم ثم الم الى ان العالم سائر على نواميس العدل التى وصفها الله عز وجل والقضاة نائبون عنه فى أعمال العباد الجزئية وهو ماخلق شيئاً باطلا ثم توعد الذين لا يفقهون وعمم القول فى نوع الانسان عالمهم وجاهلهم صالحهم وطالحهم حاكمهم ومحكومهم وانه لا يستوى عنده المسيئون والمحسنون والعالمون والجاهلون ثم مدح خطة القرآن في البيان وأمر بتدبر ما فيه وقال من يفقه الا أولوا الالباب

المقارنة الخامسة

(فى الانذار والتذكير)

(قال زهير يخاطب بنى طى وغطفان)

الا أبلغ الاحلاف بنى طى وغطفان عنى رساله وبنى ذبيان انكم قـد تعاقدتم وحلفتم بكل قسم على الصلح وترك القتال فلا تحنثوا فى أيمانكم ولا

تنقضوا عهدكم بأعلان الحرب كرة أخرى ولا تكتموا على الله ما اكننتم في صدوركم من الغدر ونقض الصلح ليخفى على الله فان الله لايخفى عن علمه شيء في الارض ولا في السماء ومهما كتم الانسان شيئاً علمه الله وحاسبه عليه والحرب ماعلمتم وجربتم وما هو بحديث مظنون لاتعلم حقيقته فيقدم الانسان عليه اذا اثرتم تأثرة الحرب ذممتم عواقبها واذا عودتموها تعودت عليكم فانتهت فاستأصلتكم فتعركم كما تعرك الرحى ثفالها وتداركتكم الحرب ولا تفبكم وتلدلكم من الحوادث المشؤومة أولاداً كل واحد منهم اشأم من عاقر الناقة وهو قدار بن سالف على قومه ثمود وتغذي هؤلاء الاولاد ثم تفطمهم اذا حان فطامهم أي أن الحرب كلما طال عليها الامد ولدت آثاراً سيئة مشؤومة فاذا انتهت بقيت تلك الآثار ثم تغل لكم غلات كثيرة وهذه من الخيرات والنعم (يقوله من باب التهكم بهم) بان تأخذوا ديات من قتل منكم أوفر وأكثر من غلات العراق من حب يكال بالقفيز وهو مكيال مخصوص ومن مال يحسب بالدرهم وقد كان خراج سواد العراق في عهد عمر رضي الله عنه ثمانين مليون درهم تؤخذ من الزروع والثمار فقط ماعدا ما يؤخذ من أهل الذمة

هذا معنى قول زهير

الا أبلغ الاحلاف عنى رسالة	وذبيان هل اقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله مافى نفوسكم	ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر	ليوم الحساب أو يعجل فينقم
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم	وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر اذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

***

ويقول الله تعالى فى هذا الباب من الاعتبار بالقرون الماضية. فى قبيلة سبأ وكانت تسكن فى اليمن وعاصمتها صنعاء وقد أوتوا جلائل النعم ووفرت الخيرات ودرت عليهم البركات من السماء وعم الخصب وجعلوا للماء سدا يحفظه « يسمى العرم » لوقت الحاجة فتسقى به الارض ولم يكونوا ليتركوا قطعة بلا رى ولا شبرا بلا زرع حتى كان الناظر اليها يخالها جنتين عن اليمين وعن الشمال . ولقد اكرمهم الله بالامن فى السفر والحضر وكانت لهم قرى متتالية متتابعة من اليمن الى الشام بحيث يبيتون (اذا سافروا) فى قرية ويقيلون فى أخرى فكان ذلك أمنا لهم وحفظا لاجسامهم من الهلاك ولأموالهم من الشطار وقطاع الطريق فلما أن طغوا على ضعفائهم وبغوا في احكامهم وتواكلوا فى اعمالهم وتدابروا فيما بينهم وتقاطعوا فى تواصلهم وموداتهم واهملوا الاعمال العامة انهار السد الحافظ للماء الماسك له لوقت الحاجة فاغرقت الارض واحبط بثمرهم وأصبحوا يقلبون كفهم حسرة وندامة وانبتت لهم ارضهم مالا يجدى من الشجر المسر والاثل وهو العبل ومن قليل من السدر وهو النبق وخربت تلك القرى التى يأمنون باسها فى اسفارهم الى أرض الشام التى بارك الله عز وجل فيها بالخصب والثمار والانبياء والعلماء . . ان فى ذلك لعبرة للامم الحاضرة فليحفظوا النعم التى استودعوها والأرض التي اسكنوها وليقيموا اعمالهم ومصالحها ولا يتقاطعوا ولا يتدابروا ولا حقت عليهم كلمة العذاب كما حقت

على سبأ اذ ضلوا وفسقوا وسرقوا فتفرقوا فى البلاد شذر مذر وصاروا مثلاً فى الغابرين وعبرة للمذكرين فقيل فى مثلهم تفرقوا ايدى سبأ ويؤخذ هذا من قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور

المقارنة السادسة فى الفخر بالظلم

قال عمرو بن كلثوم

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا ولكنا سنبدأ ظالمينا

وقال زهير ومن لا يظلم الناس يظلم

وقال الله تعالى . فى الانصاف بالعدل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا به وكفى بنا حاسبين. وقال . ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون : وقال . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله. أمر الله بالقسط والعدل وعمرو بالظلم والجبروت

المقارنة السابعة فى الشدة واللين

قال حاجب بن زرارة يخاطب كسرى انوشروان اذ جاءه في وفد النعمان بن المنذر ايها الملك وري زندك وعلت يدك وهيب سلطانك ان العرب امة قلقلت اكبادها واستحصدت مرتها ومنعت درّتها وهي العلقم مرارة والصاب غضاضة وهي العسل حلاوة والماء الزلال سلاسة وهي لك وامقة ماتألفتها مسترسله ماسامحتها . الخ . وقوله . تعالى . ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد . فالبطش شدة والبدء والاعادة قوة والغفران تسامح والود نهاية الحب وملكه للعرش مجد وسرى وعظمه . وقال في وصف المؤمنين . أشداء على الكفار رحماء بينهم

﴿ المقارنة الثامنة ﴾

« قال احد شعراء الحماسة »

وذي رحم قلمت اظفار ضغنه	بحلمي عنه وهو ليس له حلم
يحاول رغمي لا أحاول رغمه	وكالموت عندي ان يحل به الرغم
فأسعى لكي يبني ويهدم صالحي	وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم

وقال تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفوراً وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها

فقل لهم قولا ميسورا

﴿ المقارنة التاسعة ﴾

« الاعتبار بالقصص »

كانت العرب تضرب امثالها على السنة الهوام . قال المفضل الضبي يقال امتنعت بلدة على أهلها بسبب حية غلبت عليها فخرج اخوان يريدانها فوثبت على أحدهما فقتلته فتمكن لها أخوه بالسلاح فقالت له هل لك أن تؤمنني فأعطيك كل يوم دينارا فأجابها الى ذلك حتى اثرى ثم ذكر أخاه فقال كيف يهنأ العيش بعد أخي فأخذ فاسا وسار الى جحرها فتمكن لها فلما خرجت ضربها على رأسها فاثر فيه ولم يمعن فطلب الدينار حين فاته قتلها فقالت له مادام هذا القبر بفنائي وهذه الضربة برأسي فلست آمنك على نفسي فقال النابغة في ذلك

تذكر اني يجعل الله فرصة ... فيصبح ذا مال ويقتل واتره

فلما وقاها الله ضربة فأسه ... وللبر عين لاتغمض ناظره

فقالت معاذ الله أعطيك انني ... رأيتك غدارا يمينك فاجره

ابى لى قبر لا يزال مقابلي ... وضربة فاس فوق رأسي فاقره

وقال الله تعالى هل آمنكم عليه الا كما آمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين. وقال في هذا المعنى . ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون

وقال أيضا ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون

ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون

﴿ المقارنة العاشرة ﴾

« الزهد ووصف الحياة الدنيا »

قال النابغة

المرء يأمل ان يعيـ ـش وطول عيش مايضره

تفنى بشاشته ويبـ ـقى بعد حلو العيش مره

وتخونه الايام حـ ـتى لا يرى شيئا يسره

كم شامت بى ان هلـ ـكت وقائل لله دره

ويقول الله تعالى

ومن نعمره ننكسه فى الخلق افلا يعقلون . ويقول ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً

(المقارنه الحاديه عشرة في فضيلة الكرم والسخاء)

قال فى طبقات الشعراء اتى حاتم ماوية بنت عفزر يخطبها فوجد عندها النابغه الذبيانى ورجلا من النبيت يخطبانها فقالت لهم انقلبوا الى رحالكم وليقل كل واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه فانى متزوجة أكرمكم واشعركم فانطلقوا ونحر كل منهم جزوراً ولبست ماويه ثيابا لامة لها وأتبعتهم فاتت النبيتى فاستطعمته فاطعمها ذنب جزوره فاخذته وأتت النابغة فاطعمها مثل ذلك فاخذته وأتت حاتما وقد نصب قدوره فاستطعمته فقال انتظرى حتى تبلغ القدر أناها فانتظرت حتى بلغت فاطعمها أعظما من العجز وقطعة من

السنام وقطعة من الحارك (ملتقى الكتفين) ثم انصرفت وأهدى اليها النابغة والنبيتى ظهر جزوريهما واهدى اليهاحاتم مثل ما أهدى الى امرأة من جاراته وصبحوها فاستنشدتهم فانشدها النبيتى

هلا سألت هداك الله ماحسبي عند الشتاء اذا ماهبت الريح
وردجازرهم حرفا مصرمة فى الراس منها وفى الانقاء تمليح
اذا اللقاح غدت ملقى اصرتها ولا كريم من الولدان مصبوح

(النقى) و (النقو) جمعها انقاء كل عظم ذى مخ مجوف فيه دهن (والحرف) الناقة العظيمة (المصرمه المقطوعة بعض الاخلاف لئلا تدر وذلك يدعو للسمن (والاصرة) جمع صرار وهو الرباط (المصبوح) من يشرب اللبن صباحا (والتمليح) وضع الملح بكثرة

ثم استنشدت النابغة الذبيانى فانشدها

هلا سألت هداك الله ماحسبي اذا الدخان تغشى الاشمط البرَما
وهبت الريح من تلقاء ذى أرل تزجى مع الصبح من صراً دِها صرما
انى اتمم ايساري وامنحهم مثنى الايادى وأكسو الجفنة الادما

(الأشمط) من اختلط سواد شعره بياضه (والبرم) كحسن الرجل الذى لا يدخل مع الناس فى الميسر « وكانوا يفعلونه لمجرد الاحسان كما يفعل كثير من الناس اليوم فى الليالى العامة فى بلادنا مساعدة للفقراء » والصراد كسلطان السحاب الرقيق (والصرم) كالقطع لفظا ومعنى وهى خاصة بالسحاب (ايسار) جمع يسر كاسباب وسبب وهم القوم المجتمعون على الميسر (والأدم

جمع أدمه وهي البياض والقصد هنا الأبيض وهو الشحم وذو أرل جبل

ثم استنشدت حاتما فانشدها

أماويّ ان المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر

أماوي اني لا اقول لسائل ... اذا جاء يوماً حل في مالنا نذر

أماوي أما مانع فبين ... وأما عطاء لا ينهنهه الزجر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أماوي ان يصبح صداي بقفرة ... من الارض لا ماء لديّ ولا خمر

الصدي جسد الميت

ترى ان ما أنفقت لم يك ضرني ... وان يدي مما بخلت به صفر

وقد علم الاقوام لو ان حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر

فلما فرغ من انشاده دعت ماويه بالغداء فقدم الى كل رجل منهم ما كان أطعمها فنكس النابغة والنبيتي رؤوسهما فلما رأى حاتم ذلك رمى بالذي قدم لهما واعطى هما ماقدم اليه فتسللا لواذاً فتزوجت حاتماً وماوية هذه كانت من بنات ملوك اليمن

هذا ماكان يترنم به العرب في الجاهلية ويفتخرون به وينشدونه في محافلهم وأوقات سمرهم وانسهم ويعلمونه لابنائهم فيشبون على الفضيلة ويتربون على الاخلاق الجميلة وحب الجود والكرم. لم يرد في هذه الاشعار ذكر الانفاق العام ولا الاخلاص وحب الشعب والأمة ونظامها

ولا جرم ان ذلك يقصر على ما تقوم به العشائر الصغيرة ويتفاخر به أناس في باديتهم الا ان الكرم الاكبر والجود الاعظم لبذل الاموال في الاعمال

النافعة ونظام الجمعية العامة التي كان العرب يجهلون اكثرها. ذكر الجزور والميسر والقمار واطعام الرجل الفقير والافتخار بذلك في قول النبيتي والنابغة وعمم حاتم بذل المال ولم يخص بذبح الجزور وأجاد في الاعتذار للسائل والتنصل للمحروم واقامة الاعذار عند العدم ثم بذل المال لكل سائل وزهد فيه بذكر الموت وهوله والقبر ووحشته وجعل جزاءه الذكر الحسن والصيت الجميل بعد الموت وكان قوله اجمل ومعناه اجزل فحق له الفضل والفخر على سابقيه وقد سهل لفظه وحسن اسلوبه واقل من الغريب فنال الحظوة عندها

الا اسمعك أيات من القرآن في ثلاث مواضع تحث على الكرم لتتبين الفرق بين الاسلوبين وتعرف ايهما احرى بالفضل

قال الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم

يريد الله أن يضاعف الاحسان ليصور ماتشاهده كل حين من تضاعف الحب والزرع وتكراره فالحبة قد تخرج سبع سنابل وقد يكون في السنبلة مائة وهذه المائة السبع قد تضرب في مثلها ذلك المثل منطبق أتم الانطباق على الاعمال العامة للامة في الدنيا وعلى ثوابها في الاخرى وان الثواب ظل الاعمال يتضاعف بتضاعفها فلو انك علمت تلميذا حكمة فملأت بها قلبه فعلم سبعا فعلم كل واحد مائه مثلا تضاعف العدد وربا حتى يعم امة بل انما يتضاعف ثوابه في الآخرة على مقداره والحسنة على العمل قد تكون واحدة وعشرة وهكذا الى مالا يتناهى يعلمه عليم بمقادير الاعمال وهذا هو الخير والعدل ان الله سريع الحساب

هذا المعنى الجميل المصور للاحسان بصورة مضاعفة الحب لا يؤثر الا فى النفوس الصافية الجميلة المقابلة لانطباع الصور البديعة التى هى أريحية تهتز للندى كما اهتز من ماء الحديد قضيب فأما نفوس ذوى الشهوات السافلة والآراء النائمة الساهية القاعدة فانها تحتج بما لزمها من المصالح الخاصة كالانفاق على الابوين والابناء والاخوان والازواج والاقارب والمحافظة على ابقاء الثروة وعلى مكاسب التجارة وزخرف البيوت وبناء المساكن فلذلك جاء في آية أخرى بالتهديد والوعيد رمزاً لا تصريحاً فقال

قل (يا محمد لأمتك والمخاطب كل قوم على سطح الكرة الارضية) ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجاره تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتىَ الله بامره ان الله لا يهدى القوم الفاسقين)

يقول ان كانت الاصناف الثمانية من الآباء وما عطف عليها أحب اليكم من الزلفى لله بالاعمال الباقية المرموز لها بالجهاد فى سبيل الله فانتظرو حتى يأتيكم أمر من الامور الهائلة العظيمة فقد جرت سنة الله الا يهدى القوم الذين فسقوا عن أمر ربهم وحادوا عن ناموس المدينة وبخلوا بالمال واختصوا هم بلذاتهم الذاتية فأولئك هم الخاسرون

وهناك طائفة سمعت هذا القول فاعرضت وتولت ولم تبال بالتهديد والوعيد والزجر والتنديد فاسمعهم الله اية تقرع اسماعهم بزواجر وعظها وتصيب الحز وتصرح عن المحض فقال هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى

وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم

في هذه الآية حصحص الحق واستبان السبيل وظهر امر الله الذى امرنا بتربصه فى آية أخرى هنا ظهر السر المكنون والعلم المخزون هنا وضح الحق واستبان السبيل وعلم ان الامم الناكسة لمهدها الناكصة عن الانفاق تباع فى سوق الاسترقاق وتأخذها امم أقوى منها سلطة وامنع جانباً واعز جاراً واوسع انفاقا هنالك ذهاب الامم وخراب الدول وفناء الاجيال يقول ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل بماله الى ان قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ويهلككم وليس أولئك القوم مثلكم يحرصون على درهم يخزنونه كما استبدل الامم الاسلامية الاولى فى بغداد ايام المستعصم فى أواخر القرن السادس بالامم القوية التتارية فورثوا ارضهم وديارهم واموالهم ودينهم وقاموا به وسكنوا تلك الديار وعمروا كثيرا من بلاد الروسيا الى يومنا هذا وتبوأوا بلاد الهند والصين وكما طرد المسلمين الاندلسيون من ديارهم اذبخلوا بالمال واستبد كل امير واختص بمصالحه

انظر الفرق بين الاسلوبين وتعجب كيف كان الاسلوب الاخير حسنا سهلا حاثا على الاحسان الاكبر والبر الاعظم لترقى الشعوب والامم ونظامها وكيف وعد فى الآخرة وأسنده لله وكيف حذر وانذر مما كان كلام العرب خلوا منه جميعه ولم يكن فيه الا الحث على اصغر البرين واقل المملين والاحسان للآحاد بالماء والزاد بهذا الاسلوب من المظة فليقتد المصلحون للامم والمنشئون الصادقون

ولنذكر خطبة المؤلف فى جمعية المؤاساة لمناسبتها للمقام نقلا عن جريدة اللواء الغراء

ابتدأ الحفلة حضرة الشيخ على محمود بتلاوة آيات من الذكر الحكيم فى سورة هل أتى فقام الاستاذ رئيس الجمعية الشيخ طنطاوى جوهرى وابتدأ بشكر الحاضرين اذ لبوا نداء الجمعية وقال انى استقبلكم بما استقبل النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه اذ قال (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) ثم طفق يبين ما اشتملت عليه سورة هل أتى التى اختارها القارىء للترتيل من المباحث وهى ثلاثة

الاول التاريخ الطبيعى لحياة الانسان آدم و بنيه وانه لم يكن شيئاً مذكوراً وان بنيه خلقوا من نطفة مركبة من عناصر مختلفة التركيب والصفات وتكورت وصورت وهندست وشكلت فصارت بشراً سوياً

المبحث الثانى ان هذا الانسان على سطح الكرة قسمان قوم صرفوا مواهبهم الفطرية وقواهم العقلية ومكاسبهم المالية وكل ما ملكوا من قوة وعلم وجاه ومنصب وقدرة فى المنافع العامة وسعادة الامة وهؤلاء الذين سماهم شاكرين وآخرون تنزلوا من سماء الفضيلة الى أرض الرذيلة وتدنسوا بالوزر وانحطوا الى رتبة الحيوانات المنزلية ولم تسم نفوسهم بهم الى درجات الانسانية الشريفة فاصبحوا فى ديارهم يمثلون حياة الدجاجة والديكة لا يلوون على فضيلة ولا يسمون الى حكمة خصوا أنفسهم بما ملكوا من درهم وامدوا شهواتهم بما استطاعوا من حول وجاه فاولئك هم المسمون بالكافرين (انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً) ثم أبان ما للشكور من النعيم الذى جل أن يصفه الواصفون به وأكبر ان تحيط به الظنون (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) وقلب المجن لاولئك الكافرين الذين قصروا هممهم على شهواتهم وما يحيط بها فاوعدهم باشد الوعيد

المبحث الثالث فى المصلحين الهادين اذ ذكر اجلهم مقاماً وأقربهم منه زلفى فقال

(انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) ولما كان أولئك الهادون المرشدون أدنى الى الاذى من الناس كلما عمت دعوتهم وانتشر بين الناس ذكرهم وأحاط بهم تابعوهم يحسدهم العظماء لمزاحمتهم لهم فى الشرف ويتبعهم العامة لتلألؤ انوارهم المغشية لابصارهم الضعيفة أردفها بقوله (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً او كفوراً) فانهم لما عطلوا مواهبهم وقعدوا عن العلياء رغبوا ان تنحط الهمم العالية الى مراتبهم وان يستنزلوا تلك النفوس الشريفة من مصاف الملك والفضيلة الى مراتب البهمية التى هم بها راضون وعليها يدورون وكل حزب بما لديهم فرحون ثم ارشده الله الى أن يتحصن بامتع الحصون واعلاها وهى قوة الارادة بالاعتماد على الله بكرة وأصيلا فقال (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا الخ)

ثم ختم السورة بجملتين تلخيصا لها فقال (يدخل من يشاء فى رحمته) اشارة للشاكرين — (والظالمين أعد لهم عذابا اليماً) اشارة للذين تقاعست هممهم عن المنافع العامة ونكصوا على اعقابهم فهم فى الحيوانية ابداً تائهون وعن العدل والنفع معرضون « والظالمين أعد لهم عذاباً اليماً » ثم أبان أن أهم صفات الشاكرين فى الآية اطعام الطعام للفقراء والمساكين واليتامى والاسرى باخلاص النية — وأخذ ينثر ما ابهج السامعين اذ سرد ثلاث آيات فى فضيلة السخاء وبذل المال فى سبيله دلت على ما فى الدين الاسلامى من الحكمة التى جهلها اكثر الناس فقال لقد ندب الله الناس للاحسان بطرائق مختلفات فتارة يضرب الامثال اذ يقول « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » فتكاثر الحبة بالتضاعف فى الحقول كالقمح والذرة وسائر الحبوب مشاهد معروف معلوم اذ يصير اضعافا مضاعفة وآلافا فى بضع اشهر فهكذا ستكون اجور الاعمال بل تتكاثر الاعمال انفسها وتتضاعف فى الدنيا

الا ترى انك لو انفقت على تلميذ فتعلم مبادىء الادب والفضيلة واشربت فطرته حب الحكمة وأمتلاء قلبه ايمانا وجمالا وحبا للفضيلة العامة وعمران البلاد بحيث صارت تلك العناصر الفاضلة اجزاء لا تتجزاء من مقومات روحيه وأصولا مكونة لعقله كما كانت

عناصر الحياة النباتية مقومة للحبة وأصول النواة مثلا

أفليس ذلك التلميذ قدوة لمن حوله فيما أمتلات به روحه ففاضت على اصـــدقائه وتلاميذه فتكاثروا وتضاعفوا واخذوا حكمه كالمتواليةالهندسية الصاعدة بالتضـــعيف الى مالا يتناهي والرجل الواحدقد يصير قدوة الامة باكملهافى عشرات السنين حتى ماثل الحبة وضاهى النواة من حيث امتلاء نفسه بالحـكمة البالغة ولعمرى ان النفقة على نشر الحكمة وتعميم الفطنة فى الامة أوسع نفعا وأعظم أجراً وأبقى عند اللهذخراً ولتكوين رجل واحد فى امة أفضل من أطعام مائة جائع و بناء جامع (لان يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم)

ان المثل السالف لا يؤثر الا فى النفوس الشريفة والقلوب الواعية وقـد يستقبله أناس بما توسوس به نفوســـهم من الجنوح للحياة الحيوانية فيقولون مالنا وللامور العامة فلتكن أموالنا خاصة بآبائنا موقوفة على أبنائنا ولنقصر ما أوتينا من جاه وارزاق على مساعدة عشيرتنا وزوجاتنا ونجعل عنايتنا ومواهبنا العقلية لصيانة أموالنا وانماء تجاراتنا وليكن لمنازلنا وأثاثاتها وامتعتها الحظ الاوفر من مكاسبنا فكان قوله تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليـــكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) تهديداً ووعيداً لاولئك الضالين الذين قصروا علمهم وما لهم على النفس ومن حولها وحبسوا جاههم الطويل العريض على من حولهم بحق و بغير حق فأمرهم بالانتظار حتى تقرع الامة قارعة وتصيبها الغارة الشعواء لان مترفيها فسقوا فيها فيحق عليها القول وهذا القول مجمل قد فصل فى آية أخرى وهى الثالثة فى سورة محمد عليه الصلاة والسلام اذ قال (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله)

وسبيل الله كل عمل صالح مقصود به وجه الله عز وجل فانما العلوم وتعميم الاصلاح فى البلاد من أفضل تلك السبيل (فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) انه صرف أشرف فضيلة استنزلها من مستوى مقامها الرفيع ودساها فدنسها بكنزه المال وحرم عليها سبيـــل الذكر وحسن الاحدوثة وجميـــل الاجر والثواب (والله الغنى

وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم) يصلحون للمدنية و يحفظون نظام الملك و يقمون العدل وينشرون الفضيلة ولا يبخلون بالاموال و يهبون ما منحهم الله للمنافع العامة وانماء الثروة مع الاخلاص و يقوون روابط الامة (ثم لا يكونوا أمثالكم) ذوى بخل بالمال وتقاطع بينهم واختصاص بما استخلفهم الله عليه فى الارض بما يملكونه كما حصل ذلك فى دولة العباسيين أيام المعتصم آخر خلفائهم اذ تقاطع المسلمون واختلفوا واصطدموا ولم ينفقوا وأعرضوا عن المنافع العامة ونظام الدولة فسلط الله عليهم التتار فاجتاحوهم فورثوا ديارهم وأموالهم وكانوا من قبل ذلك كفارا فآمنوا وورثوا دينهم واستخلفهم الله فى الارض

هكذا كانت دولة الفاطميين فى تلك الايام بين القرن الخامس والسادس الى ان تدابر المصريون وتقاطعوا وكانوا أشحاء بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فزال ملكهم وغلب الايوبيون على الدولة فملكوا الصولجان ولبسوا التاج وفى ذينك القرنين كانت حوادث مزعجة قام فى المسلمين أمامان عظيمان الامام الغزالى فى الدولة العباسية ببغداد وما والاها والامام بن رشد فى الاندلس وما حاذاها من الغرب الاقصى فأخذا ينشران العلم ويحضان على الفضيلة واحياء العلوم وانفاق المال على المنافع العامة فكفر المسلمون بالامامين وقالت طائفة من العلماء بفكرهما فاجتاح الاولين التتار كما قدمنا وبطش بالاخرين أهل اسبانيا جزاء ما عصوا علماءهم وغاضبوا حكماءهم وآسفوا أكابرهم وهم بهم يسخرون وها هو دور الامم الحالية آن أوانه وأظل حينه الا وأن لله فى الامم نظرة فان هى استيقظت رفعها وان هى استنامت الذلة وبخلت بالمال فان جزاءها البوار فويل للعلماء اذا بخلوا على الناس بما يعلمون وويل ثم ويل للاغنياء اذا امسكوا المال وهم لاهون والويل كل الويل لاهل المناصب الرفيعة والجاه اذا اقتصروا فيما استخلفوا عليه وهم عن الفضيلة والعدل معرضون

الا وان الامم اليوم فى دور الانقلاب فمن شاء اتخذ لنفسه سبيلا

* * *

بعد أن حذر الاستاذ الخطيب وأنذر أخذ يذكر كرم العرب وانهم كثيرو الرماد

وقال ان سيرهم واخبارهم ملأت المجلدات الضخمة ولكني سأقص عليكم منها قصصا وجيزا

ذلك ان سيدة من فتيات العرب تسمى (ماوية) بنت عفزر من بنات الملوك خطبها ثلاثة من اجواد العرب وسمحائهم وهم (النبيتي) و (النابغة) الذبياني و (حاتم طى) فقالت سأتزوج اكرمكم واشعركم فانصرفوا من حضرتها وقامت فخلعت ثياب العزة والملك ولبست ثياب بذلة كانت اسمالا بالية واخلاقا ممزقة وقامت باستكانة وخشوع ومعها عصا تتوكأ عليها كأنها عجوز شمطاء فأخذت تمشي حتى وصلت الى (النبيتى) وقد نحر جزورا فاستطعمته فمنحها ذيل جزوره وهكذا فعل (النابغة) اما (حاتم طى) فأعطاها من السنام والحاركين « ماحوال فقرات الظهر » فرجعت خباءها و باتت ليلتها فلما ان طلع النهار حضر الثلاثة لديها واخذ كل يقول ماد بجته قريحته من الشعر فابتداء النبيتى يقول

هلا سألت هداك الله ما حسبى عنـد الشتا اذا ما هبت الريح
ورد جازرهم حرفا مصرمـة فى الرأس منها وفى الانقاء تمليح
اذا اللقاح غدت ملقى اصرتها ولا كريم من الولدان مصبوح

وقال النابغة ابياتا

هلا سألت بنى ذبيان ماحسبى اذا الزمان تغشى الاشمط البرما
وهبت الريح من تلقـاء ذى ارل تزجى مع الصبح من صرادها صرما

فقال حاتم اماوى ان المـال الخ ماتقدم

« يقول يا ماوية لاثبات للمال فهو يغدو و يروح ولا يبقى الا الاحاديث والذكر يا ماوية انى لا اقول للسائل اذا جاءنى ان اموالى فيها نذور تستغرقها بل اذا منعت منعت بحجة و بيان وعذر مقبول وان اعطيت لم يدفعنى عنه العاذلون ولم يثبط همتى اللائمون فاذا اصبح صداى أى جسدى بعد الموت بقفر من الارض فلا ماء اشربه ولا خمر اتلهى به فهل ما انفقت من المـال ضرنى افليس ما بخلت به وامسكت من المال اصبحت صفرا منه وانما تركته للوارثين الذين لا يحمدون . ان الناس يعلمون

انى لو شئت أن أكون ذا ثروة لكنت اليوم من اغنى العالمين)

ولما فرغوا من شعرهم قدمت لهم الطعام اذا أمام كل منهم من اللحم ما أعطاها بالامس الى آخر ماتقدم قريبا

وأخذ الاستاذ بعد ذلك يقارن ما بين حال المسلمين فى مصر وما ورد فى الشريعة الغراء من الحث على الكرم وما اتصف به آباؤنا العرب من السماحة فوجد البون شاسعا والفرق بعيداً وقال ليس على الاغنياء عيب ولا عار الا انما العار والشنار على أولئك الذين يعلمون ويكتمون على الناس ما يعلمون

ثم أخذ الاستاذ بعد ذلك يقارن مابين حال المسلمين فى مصر بمجاوريهم من الطوائف الاخرى فرأى انهم جميعا اكثر تعليما واحسن صناعة وأوفر تجارة وقل اسمت اقارن حالنا اليوم بالامم المتمدنة بل أن الامة اليوم لم تبلغ شأو مساوى القرم فى بلاد الروسيا فانهم يبلغون مائة الف وعندهم ١٦ مدرسة و٦ جمعيات خيرية ولهم اعمال غير ذلك من احسان ومستشفيات وارساليات فلو انا اردنا اللحاق بهم لكان لدينا اليوم الف وثمانمائة مدرسة من جيب الاهالى خاصة .

هذا هو حالنامع الامم التى هى نصف متمدينة فكيف حالنا مع انكلترا وفرنسا مثلا !! فعار على رجال الامة وعظمائها وذوى الجاه ان يتركوا حبل الامور على غاربها الا ساء مثلا ما نحن فاعلون

فهلا قام فى كل مديرية جماعة واسسوا مدرسة تجهيزية فى عاصمة المديرية وابتدائية فى كل مركز واذا فعلوا كان ذلك اول حجر فى تأسيس هيكل الحياة المصرية

نحن اليوم لم نخط خطوة واحدة فى حياتنا . نحن اليوم اكسل الامم

انا لا اقنع بما ارى من المظاهر والاعراض فكل ما اراه يا قوم لا اعده غنى ولا سعادة ولا مدنية . ليس فى البلاد حركة علمية . فالى متى والى متى وحتام ؟ فياحسرة على البلاد وياضيعة اهلها

ان الاحسان قسمان صغير وكبير فالكبير ما قدمنا الآن والصغير هو الاحسان الى الفقراء والمساكين واليتامى وامثاله . ولقد ابتدأت فى هذا القسم الاخير هذه الجمعية

قام بتأسيسها ذوو غيرة وحمية من نحو سنة . واليوم تمام السنة من تأسيسها وسيشرح لكم ناموس (سكرتير) الجمعية منشأها ورقيها وكيف اخذت تترقى فى مدارج الرقى فى مدى ستة الاشهر التى تسلمنا فيها زمامها وكيف كانت مأوى لبعض ذوى الفاقة ممن اخنى عليهم الدهر وألبسهم لباس الضر وطحنهم بكلكله بعد العز والنعيم والسعادة والهناء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا ثم أنشد يقول

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... ذلا ولو نال الغنى بسؤال

واذا النوال الى السؤال قرنته ... رجح السؤال وخف كل نوال

وانا نرجوا الله ان يكلل عملنا بالنجاح بهمة ذوى الغيرة والحمية من اهل الملة وهو وان كان صغيرا اليوم فالمرجو من الله التمام

واذا رأيت من الهلال نموه ... أيقنت ان سيصير بدراً كاملا

باب التشبيهات فى كلام العرب والقرآن

نذكر فى هذا الباب جملا حوت التشبيهات فى كلام العرب ثم نتبعها باخرى من أى القرآن لنعرف أنواع الكلام وليستدل المطلع على مقدار ماوصلت اليه البلاغة عند الجاهلية فى اشعارهم وكيف تخطاها القرآن وتجاوز تلك الدرجة الى ماهو اعلى منها واسمى قال لبيد بن ربيعة العامرى فى معلقته

وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زُبُرٌ تُجِد متونَها اقلامُها

او رجع واشمة اسف نؤورها ... كففا تعرض فوقهن وشامها

يقول لما تهاطلت الامطار على الديار وحصلت منها السيول كشفت آثار الديار لغسل ما كان متراكما عليها من التراب فكان تلك الطلول كتب

غابت فيها الكتابة لطول عهدها بالكاتب وكأن تلك اقلام تجدد الكتابة وتظهر ما خفي منها

والرجم الاعادة والواشمة التي تصنع الوشم وأسف زر النؤور الكحل الذي ترشه الواشمة على الجرح والكفف دارات تكون في الوشم وتعرض ظهر ووشام جمع وشم غرز الابرة في اللحم حتى يظهر الدم ثم زر الكحل عليه

المعنى وكان تلك السيول واشمة عمدت الى وشم قد ضعف اثره على اليد فرجعته واعادته بذر النؤور على داراته حتى كانه جديد لا يضمحل وقوله جلا اى كشف والسيول جمع سيل الماء الكثير والطلول جمع طلل اثار الديار والزبر جمع زبور الكتاب وتجد تجدد والمتون جمع متن وهو بمعنى الظهر في غير هذا المقام وهنا معناه الكتابة

ويقول الله تعالى انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال . يقول ان الله انزل المطر فسالت به الاودية واخذ كل واد قسطه وربا على الماء زبد

هكذا ترى الناس يوقدون النار ويصهرون المعادن فيعلو على جواهرها الاجسام الغريبة كما يعلو الزبد على الماء

وهكذا كان الحق والباطل في الدنيا فان الحق في اول امره يغلبه الباطل ويغشيه بغشاء من الاضاليل ثم ينكشف الغطاء ويحصحص الحق ويتجلى للناس كما ان زبد الماء الرابي عليه وزبد المعادن النفيسة يذهب ويزول بعد

ان غاب وغشي على الماء والمعدن فاما ما ينفع الناس من الماء والمعدن كالذهب والفضة فانهما يبقيان فهذا ينبت الكلاء والعشب والمزارع والحدائق والجنات وهذا تصاغ منه الحلى ويجمله النساء زينه لهنّ وجمالا ويجعلونه آلات ويعملون به الاعمال هذا هو الناموس الطبيعي العام الذي افتخر به الاوروبيون وقالوا قد اكتشفناه ودرسناه وابرزناه للعالم وهو ناموس بقاء الاصلح للوجود والانفع للانسانية والافضل للحياة نطقت به هذه الآية وجعلت اعمال المجاهدين والفضلاء والحكماء والمخلصين تشابه ماتراه كل يوم فيما امامنا من الزبد والماء والحلى وان الحق يعلو وان غشيته الاباطيل والباطل يذهب جفاء وان غلبته الاضاليل هذا هو الناموس المبين فهل ترى له مع قول لبيد مقارنه أفرأيت الفرق بين التشبيهين وكلاهما في الماء أليس من العجب ان يقتصر لبيد على الطلول والبيداء ويتعالى القرآن فيقيس به السياسة والحكمة والحق والباطل فيقول فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض

عجب عجاب هذه هي التي فخر بها الاوروبيون وقالوا نحن انا مخترعون الا فليفطن العاقلون وليعلم الذين لا يعلمون

المقارنة الثانية

قال طرفه بن العبد في معلقته

كأن حدوج المالكية غدوة خلا باسفين بالنواصف من دد

وقد تقدم شرحه وقال تعالى

مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس

مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا والله لا يهدى القوم الظالمين يقول وهو أعلم ان مثل أولئك الذين أوتوا التوراة واعينهم عمى عما فيها وآذانهم صم عن سماعها وقلوبهم غلف عن وعيها وجوارحهم عاطلة من العمل بها مثلهم كمثل حمار يحمل كتبنا يقاسى ظهره المشاق فى حملها فباء باخسر الصفقتين المشقة فى حملها والحرمان من الانتفاع بها وهى عالية القيمة غالية المقدار فتأمل كيف أصاب التشبيه كبد الوجدان فى القرآن واحاط بالمعنى وأخذ بالنفوس الى التعقل والحكمة وترفع بالقول الى مناط الفهم والحكمة والعلم ثم تنزل ذلك العربى وعكف على الرحل الذى فيه محبوبته والسفين ومجارى المياه مما لا يفيد الامم ولا يؤدى الى الافئدة معنى ولا يهدى للامة حكمة

المقارنة الثالثة

من اجمل التشبيه ما قاله طرفة بن العبد فى محبوبته

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن   مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد

خذول تراعى ربربا بخميلة   تناول اطراف البرير وترتدى

وتبسم عن المى كأن منورا   تخلل حر الرمل دعص له ند

سقته اياة الشمس الا لثاته   أسف ولم تكدم عليه باثمد

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها   عليه نقى اللون لم يتخدد

الاحوى الذى فى شفته سمرة والالمى الحوا والمرد ثمر الاراك ونفضه اياه ان يقوم على رجليه فينفضه والشادن الغزال اذا تحرك واشتد فاستغنى عن امه والمظاهر الموالى الذى يوالى بين شيئين والسمط الخيط الذى تنظم فيه الجواهر والمراد به هنا سمطه وجواهره

والخذول الظبية خذلت صواحباتها فتخلفت عنهن وأقامت على ولدها وراعى أي ترعى والربرب القطيع من الظباء وبقر الوحش والخميلة ارض ذات شجر والبرير ثمر الاراك اذا أدرك وترتدى من الارتداء وهو لبس الرداء

والألمى من اللمى وهو حمرة الشفة الضاربة الى السواد والمنور الاقحوان النابت في الارض السهلة والحر من كل شيء الخالص والدعص الكثيب من الرمل والندى اذا أصابه ندى

اياة الشمس ضوؤها واللثات جمع لثة اللحم نبتت عليه الاسنان وأسف بائمد أي ذر عليه الاثمد والكدم العض بالاسنان ورداء الشمس ضوؤها ولم يتخدد لم يتشقق والاخدود الشق في الارض يقول

ان في الحي فتاة كانها غزال في كحل عينيه وسمرة شفتيه وطول عنقه وتزعزعه قد تحلت بعقدين من لؤلؤ وزبرجد وقد خذلت تلك الغزاله صاحباتها وتخلت عنها واقامت على ولدها تنظر بعينيها الى ما ذهب عنها فتمد عنقها الذلك وتتناول اطراف ثمر الاراكه فتتهدل اغصانها عليها فتكون لها كالرداء وتبسم عن ثغر تضرب حمرة شفتيه الى سواد كانه اقحوان نبت في كثيب رمل لم يخالطه تراب وهذا الكثيب ندي فيكون اقحوانه غضا نضراً وترى ثغرها براقا كانه الشمس كسته ضوءها ما عدا لثاتها فانها حواء تضرب الى السمرة ولا بريق فيها وذلك هو الجمال المطلوب وهذا الثغر ذر عليه الاثمد ليزيد في نقاء الاسنان وسمرة اللثات ولم تعض اسنانها على شيء فيفسدها وان لها وجها مشرقا كأنه الشمس اعارته ثوبا من أثوابها

نقيا خالصا من العيوب ليس فيه غضون ولا شقوق كوجه المسنة أو المريضة

فترى في هذا الوصف تشبيه المحبوبة بالغزال وهو ينفض ثمر الاراك ويمد عنقه والاسنان بالاقحوان وهو (فراخ أم على) وهو نابت في الرمل الخالص واضاءة الثغر بسقى ضوء الشمس وضوء الوجه برداء من الشمس فهذه اربع تشبيهات ابدع فيها واطرب وقل نظير هذا في كلام الجاهلية وهاك تشبيها واحداً فقارنه بهذا كله وتعجب (قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركه زيتونة لا شرقيه ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) المشكاة الكوة التى هى غير نافذة والمصباح ضوء الفتيله والكوكب الدرى شديد البريق واللمعاء كانه الدر يقول الله نور السموات والارض اذ ضاء الكواكب والشموس والاقمار والنجوم والتى من نوره على الازهار فانارها والاشجار فابهجها والوجوه أجملها والارواح فعلمها والعقول فاحكمها وانما مثل نور العلم الفائض من الجناب الاقدس على الارواح الانسانية كمثل النور المتقد في الفتيله الموضوعة في قنديل من الزجاج فشبه الكوكب السماوى البهى اللون البراق كانه الدر المكنون وقد وضع ذلك المصباح في مشكاة حجزت ضوءها وعكست نورها حتى لا يفلت منه الى الخارج شيء فيكون أتم ضوءا وأبهج نورا واجمل رونقا وذلك المصباح يستمد زيته من شجرة زيتون معتدلة لا شرقية ولا

غريبه فيكون زيتها اصفى ورونقها اتم حتى يخاله من يراه انه مضى فاذا أوقد فهو نور على نور

هكذا الارواح الانسانية فى الاجسام الحيوانية قد حجزت نورها وحفظت أفكارها وتلك الروح الحية تستمد نورها من عالم عجيب خارج عن المادة بحيث لو مثل الكان زيتا من شجرة غريبة عجيبة لاشرقية ولا غربية تكاد تلك الروح تعرف العلوم بنفسها لشدة صفائها وجمالها وكمال اصلها فاذا علمت الحكمة وأوتيت العلم فذلك نور العلم على نور الروح ولما كان هذا المثل عجيبا غريبا بديعا اردفه الله بقوله (يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) هذا المثل عجيب جداً وها هى أمثال العرب امامنا وتشبيهاتهم قاصرة عن ادراك مثل هذه المعانى فانى لها ان نكسوها بالفاظ ان هذا لعجب فتامل وافهم الا تتعجب وتتأمل كيف كان أحسن تشبيه فى المعلقات ما ذكرناه وقد ذكر ضوء الشمس ونور الاقحوان واللؤلؤ والزبرجد وشبه اربع تشبيهات وهو مع ابداعه لم يتجاوز المعانى المطروقه من وصف الشفتين وسمرتها واللثتين والاسنان وبريقها والعقد وحسنه والجيد وطوله والوجه واشراقه ولم يسم قوله الى دقائق الحكمة وبدائع العلم فتعجب وتأمل

المقارنة الرابعة قال امرؤ القيس

كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

وكان هذا الطرز من التشبيه أعجب ما سمعوه حتى اذا جاء بشار بن برد من الاسلاميين فقال

كأن مثار النقع فوق رؤسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

اعجبوا به وقالوا انه أحسن منه تشبيها وابهى رونقا واوسع تصويرا شبه امرؤ القيس القلوب التي ادخرتها العقاب في وكرها بنوعين من الثمر هما العناب والحشف البالي تشبيها لنوعي القلوب الرطبة والقلوب الضامرة الناشفة فالحشف البالي لليابس والعناب للرطب وشبه بشار التراب وقد اعتلى الرؤس وقد تقابلت السيوف تعلو وتسفل وتذهب وتجيء وهي بيضاء في جوانب الغبار القاتم بليل حالك الظلام تهاوت فيه الكواكب وتنزلت فيه النجوم فانظر كيف جاء تشبيه القرآن في سورة البقرة قال في وصف أهل الزيغ والالحاد انما مثلهم كمثل الرجل الذي أوقد نارا في الصحراء في ليل مظلم فلما اضاءت النار ما حوله انطفأت وظلوا في ظلماتهم وهم لا يبصرون والقرآن والحكمة تهدي القلوب الى الاعمال الصالحة كأنها مطر يحيي الارض بعد موتها فينبت العشب والكلأ فالقلوب في استعدادها كالارض والعلم يستخرج كالنبت في الارض وفي القرآن وعيد أشبه شيء بزمجرة الرعود وحجج جميلة تختلب البصائر كالبرق الخاطف للابصار فاذا سمعوا الوعيد اصموا اذانهم كما يصم سامع الرعد اذنيه واذا مر على قلوبهم بصيص من نور الحكمة يكاد يخطفها فاذا انطفأت شعلتها وخبت جذوة نارها رجعوا الى ظلمة الجهالة يتخبطون وظلوا في ضلالهم يعمهون وهذا قوله تعالى

مثلهم كمثل الذي أستوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت

والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير

فتعجب كيف جعل علم القرآن كالمطر والعقول كالارض والاعمال كالزرع والحجج كالبرق والوعيد كالرعد والظلمات كالكفر وتأثر القلوب الوقتي بالحكمة وزواله بسرعة كالبرق اذا أضاء فانطفأ وذلك كما يرى في النساء والجهال من التأثر السريع وترك العمل بالقول اذ لاثبات لما لا أصل له في النفوس اه

﴿المقارنة الخامسة﴾

« ابداع النابغة في التشبيه واعجاز القرآن فيه »

أبدع النابغة في التشبيه فشبه النعمان بالشمس تارة وبالليل أخرى فخر له فحول الشعراء سجدا ومدحه الادباء وقرظوه وقالوا تناهى في أحكام صنعة الشعر اذ قال

كانك شمس والملوك كواكب ... اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقال فانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلت ان المنتأى عنك واسع

فقس هذا وقارنه بما ابدعه القرآن من التوسع في المعاني والابداع في التشبيه في الماء

اذ يقول انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الآية وتقدم شرحها قريبا فمثل حال القلوب ومعها العلم والحكمة وامتلائها بهما بحال الاودية لكل قدره وعلو الباطل على الحق كارتفاع الزبد فوق الماء وذهاب الزبد

وبقاء الماء وسقيه النبات شبيه ببقاء العلم في الصدور وترقيته للأمم وتدربها على الفضائل ثم ضرب مثلا كرة اخرى للقرآن ومافيه من العلم والحكمة وانطوائه على الوعيد والحجج الباهرة ومعارضته للكفر بقوله أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق وكيف وازن مابين الماء والعلم والظلمة والجهل والرعد والوعيد والبرق والحجج وتأمل كيف جاء الماء للمثنيين في الآيتين مخالفاً في التشبيه مبدعا في أحكامه ثم ضرب مثلا لزوال الدنيا وذهابها وسرعة افلاتها قال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها اتاها أمرنا ليلا أونهارا فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون

يقول أضرب لهم مثل هذه الحياة الدنيا انها تشبه الماء اذا نزل من السما واختلط بالعناصر الارضية فتكون النبات ليأكله الناس والدواب فاذا اخضرت الارض وزخرفت وتزينت بالانوار والاثمار وخيل للناس انهم قابضون على زمامها وارثون لها أمد الحياة فاجأتهم الطامة وباغتتهم الفاجعة وفضت عليهم القاقرة في الليل والنهار فتعجب كيف جعل المثل مركبا من ماء ونبات وأكل الناس والانعام واخذ الارض لزخرفها وتزينها وغرور اهلها بها ثم مفاجأتها بالهلاك فانظر كيف جاء الماء تارة للتشبيه بالقرآن وأخرى للدلالة على ناموس الارتقاء وبقاء الاصلح وآونة لذهاب الدنيا وسرعة زوالها وتقلبها

﴿ المقارنة السادسة ﴾

« التشبيه بالشجر والنبات وغيرهما »

انظر في شعر القدماء وما أتو من المعانى في الشجر والنبات وماحولها
قال طرفة

وفي الحي احوى ينفض المردَ شادن   مُظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد

وقد قدمنا معنى البيت ان في الحي حبيبا اسمر الشفة يشبه غزالا طويل
الرقبة يتناول أغصان الاراك وينفضها وقالت اعرابيه

أيا شجر الخابور مالك مورقا   كأنك لم تجزع على ابن طريف

وفي هذا مجاز عقلي أو كناية

ويقول طرفة في الثغر

تبسم عن المى كان منورا   تخال حُر الرمل دعص له ند

وقدمنا ان الاقحوان شبه به الثغر في الصفاء والبهجة والحسن والنور

ويقول امرؤ القيس

كان على المتنين منه اذا انتحى   مداك عروس أو صلاية حنظل

والمراد بالصلاية الحجر الذى يشق به الحنظل والحنظل معروف ثم قال

كان دماء الهاديات بنحره   عصارة حناء بشيب مرجل

يقول كان دماء الهاديات وهى اوائل الصيد من الوحوش على نحر
هذا الفرس عصارة حناء خضب بها شيب مرجل اى مسرح يشبه دم
الصيد الذى اقتنصه وهو راكب على نحر فرسه بعصارة الحناء في شعر
الاشيب وقال يشبه شعر محبوبته وهو أسود فاحم بقنو النخلة المتعثكل أى

الذى خرج عن رأس نخلة فظهر خارجا عن أغصانها واقعا فيها اذ قال

وفرع يزين المتن اسود فاحم ... اثيث كقنو النخلة المتعثكل

وقال عنترة العبسى فيما قدمنا

يشبه رائحة ثغر عبلة برائحة روضة انف ... قال

أو روضة أنفا تضمن نبتها ... غيث قليل الدمن ليس بمعلم

جادت عليه كل بكر حرة ... فتركن كل قرارة كالدرهم

سحا وتسكابا فكل عشية ... يجرى عليها الماء لم يتصرم

وخلا الذباب بها فليس ببارح ... غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه ... فعل المكب على الزناد الاجذم

هذا نموذج ذكر الشجر والنبات والبساتين فى كلام العرب تأمله وانظر كيف ذكره طرفة لمكان محبوبته وبنت طريف لرثاء أخيها وامرؤ القيس طوراً يذكر الصلابة الحجرية وأخرى يذكر الدم في صدر فرسه وآونة غزارة شعر محبوبته وعنترة ماوصف الحديقة والودق والسحاب والذباب والاجذم المكب على الزناد الا لتشم انفاس محبوبته عابقة الريح طيبة النشر اذا حققت هذا فتأمل حال ذكر الشجر في القرآن وتعجب من تنويع المعانى واجادة التشبيه والارتقاء به الى مستوى تسمع فيه صرير اقلام الحكمة وذلك فيما ياتى

يقول الله عز وجل مستدلا على الايمان حاضا على النظر فى العالم المشاهد وبهجته ونظامه

ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف

خبيرا اذا أنزل ماء فانبت النبات فاصبحت الارض مخضرة ولاجرم ان ذلك دلالة على لطفه وتدبيره وعلمه وانه خبير بجميع الشؤون وتعجب كيف مثل كلمات الحكمة والايمان الثابت بالعمل بالشجر وكلمات الكفر والجهل بما لا يثبت منه كالحنظل اذ قال

ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون

ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار شبه كلمة الحكمة والايمان بشجرة ثبتت عروقها فى الارض وعلت أغصانها الى السماء ذات ثمر فى كل حين ولا جرم ان الهداية اذا حلت قلباً فاضت منه على غيره وملأت قلوبا كثيرة فكأنها شجرة اثمرت كل حين لان ثمراتها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة وكل قلب يتلق عما يشا كله ويتقد مما يلائمه اسرع من ايقاد النار فى الحطب والكهرباء فى المعادن والضوء في الاثير

وشبه الكلمة الخبيثة كلمة الكفر وما شاكلها بشجرة خبيثة كالحنظلة لا أصل لها من الجذوع ثابت بل عروقها لا تتجاوز سطح الارض فلا هى ترتفع فى الجو ولا هى تمد بجذورها فى باطن الارض هكذا لا ثبات للباطل ولا دوام فهو زائل ذاهب وما أقوى الحق وأثبته وما أكثر نفعه فالحق قوى الاركان ثابت الدعائم مرتفع الى أعلى مثمر كل حين كالنخل والباطل لاثبات له وليس له استطالة وعلو وثمره مر كريه كالحنظل فى أحواله الثلاثة

وقال فى الاخلاص فى الاعمال

ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير

يقول ان الذين ينفقون أموالهم طالبين رضاء الله وثوابه مخلصين فى عملهم مثل أعمالهم كمثل جنة مرتفعة تكسوها الشمس بجلبابها ويهطل المطر على ارجائها تارة وابلا كثيرا وآونة طلا قليلا فهى على كلا الحالين دائمة الثمر هكذا أعمال المخلصين شبهت قلوبهم بالربوة لخصوبتها وعلوها والاخلاص بالمطر المتهاطل عليها فهى دائما تثمر أعمالا تنفع الناس قل الاخلاص أو كثر وتنال ثوابا كانه جنة بهية للناظرين ان المخلصين الصادقين لا ينقطعون عن الاعمال ماداموا كم من رجل ساورته الخطوب وكافحته الهموم وكاوحته الحوادث وحسده الاخوان وعاداه السلطان على غير شي الا العمل النافع فسقى زرع عمله وجعل اخلاصه بعد ازعاجه بالنوائب تحريضاً واذلاله عزاً وشقاءه نعيما وتهديد الخطوب ثوابا فهو دائم العمل لداع من نفسه وسائق من علمه فما اشبه اخلاصه بالمطر يحيي أمله وينبت بذور عمله وكم من رجل عليم قوى مسه الدهر بضره عند مبدأ عمله فارتد على عقبيه وكان من أولئك الذين قال الله فيهم (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) والعبادة على حرف أى جانب لقلة ثقته بعمله يتربص الحوادث فان اتاه القدر بخير اطمأن على الايمان والعمل وان مسه الضر ارتد خاسئاً وهو حسير

لم تقم امة باولئك الذين يجربون في اعمالهم ويخادعون الله ويتربصون الحوادث ألا انما قيام الامم بالعاملين المجدين فهم سائرون للامام ضاربين بما يصادفهم الدهر عرض الحائط صادقين وأولئك هم الذين قال الله فيهم كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين)

فانظر كيف مثل أولئك الذين ينفقون فى المصالح العامة بلا عقيدة في نفوسهم ولا داع من وجدانهم بمن وضع التراب على حجر اصم فنزل عليه المطر الغزير فازاله وبقى الحجر صلداً فلا ينبت به النبات ولا بقى التراب ووزن مابين القلب الجاهل والحجر وما بين المال المنفق والتراب وجعل المطر الهائل هنا الرياء للناس فلا المال ابقى ولا الاجر أدّخر

ألا ترى ان أولئك المرائين لا يدومون على العمل الصالح الا ريثما يرمقهم الناس ثم يتوارون بالحجاب عن الفضائل

ثم ضرب مثلا الزرع للدنيا وتقلبها وذهابها وضياع الحياة فقال

ألم ترَ أنَّ اللهَ أنزلَ من السماءِ ماءً فسلكهُ ينابيعَ فى الارضِ ثمَّ يُخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ان فى ذلك لذكرى لأُولى الالباب

يقول الله ألم تنظر كيف أنزل من السماء ماء فغاص فى الارض وجعله مجارى وخلجاناً وأنهاراً فى باطنها فتفجر عيوناً أخرج به زرعا مختلف الالوان والطعوم والروائح ثم يصير بعد النضارة والغضارة ورونق الحياة هشيما تذروه

الرياح وصعيداً جرزاً اليس هكذا تفنى اعماركم وتنقضى اجالكم بعد النعمة وسعادة الحياة وغضارة العيش ان فى ذلك لذكرى لأولى الالباب

ثم أمر بالتعجب من ظلال الزروع والاشجار وغيرها وقال ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضاً يسيراً

يرشد للتعجب من انقباض الظلال وانبساطها على مقتضى سير الشمس صباحا ومساء بكرة وأصيلا الا تعجب كيف وقف العقل العربى عند الموازنة مابين الاسنان والاقحوان وفروع الشعر والقنوان ونفس المحبوب والحديقة وجاء القرآن فى ذلك النوع بالمطرب المعجب فحض الامم على النظر والفكر فى الشجر والزرع وأخذ يضرب بها الامثال تارة لزرع الحكمة فى الافئدة واخرى لرفع الهمم وقوة العزيمة ودوام العمل وآونة للزهد فى الدنيا وبيان تصرفها وفنائها ووقتاً للتعجب من الظلال وعجائبها وحينا للدلالة على تضاعف ثمرات الاعمال قال مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) وآنا يمثل آخر ماتصل له قوى العالم اذ تنتهى الحركات والاعمال كقوله (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى)

وحينا للدلالة على الحياة الاخرى اذ يقول جل وعلا مستدلا على البعث بما يشاهد من تطور الانسان وبروز النبات قال ياايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام مانشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى

أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) استدل على البعث وعلى ان الله حق بتطور الجنين وأطوار الشاب والشيخ وبروز النبات من الارض بعد ان كانت يابسة فاين لعربي مثل هذه الحكمة

المقارنة السابعة

ذكر الكلب في كلام العرب والقرآن

شبه الانسان الودود بالكلب في حكاية مروية عن بدوي استدعاه أمير فاكرمه فمدحه بما رآه في الصحراء من الدلو والتيس والكلب قال

أنت كالدلو لا عدمناك دلوا　　من كثير العطا قليل الذنوب
انت كالكلب في حفاظك للود　　وكالتيس في قراع الخطوب

فغضب أعوان الملك فقال دعوه وارعوه حق رعايته فلما أن خالط اهل بغداد وذاق لذة عيش المدنية قال

يامن حوى ورد الرياض بخده　　وحكى قضيب الخيزران بقده
دع عنك ذا السيف الذي جردت　　عيناك امضى من مضارب حده
كل السيوف قواطع ان جردته　　وحسام لحظك قاطع في غمده
ان رمت تقتلني فانت محكم　　من ذا يعارض سيدا في عبده

فكانت الرقة المكتسبة بالمدنية زائنة لشعره

فهاهو شبه الملك الودود بالكلب في حفاظه للود

وقال بعض الشعراء

جزانى جزاه الله شر جزائه　　　جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقال عمرو بن كلثوم

وقد هرت كلاب الحى منا　　　وشذبنا قتادة من يلينا

يقول كلاب الحى صوتت منا وقطعنا شوك القوم الذين أمامنا فلا قوة لهم على محاربتنا ويقول الشاعر

لو كل كلب عوى القمته حجرا　　　لاصبح الصخر مثقالا بدينار

هذا نوع مايقوله العرب اذا ذكروا الكلب تمثيلا

وقال الله تعالى فى قصه بلعام بن باعورا كان من الفضلاء الحكماء الصالحين مجابى الدعوة فجاء موسى عليه الصلاة والسلام لقوم بلعام يدعوهم للتوحيد وعبادة الله عز وجل فابوا فناجزهم الحرب فسألوا بلعام أن يكون ظهيرا لهم وعونا على موسى وقومه فاجابهم الى ما طلبوا وأخذ يخادع ويوسوس فى صدور المحاربين ليوقع الفشل فى جيش بنى اسرائيل وهو يعلم صحه نبوة موسى عليه الصلاة والسلام فقص الله ذلك علينا فى القرآن قال (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون)

يقول ذكر قومك يامحمد بنبأ ذلك العالم الذى علمناه الحكمة واتيناه

النور والهدى فنبذها ولم يعمل بها فصار قدوة للشياطين ومهبطا للغاوين الا ان العلم عند العالم يصلح لعمل الشر وعمل الخير ولمتابعة العقل والرحمن والهوى والشيطان وهذا مال الى الارض واتبع هواه

وانما مثله فى ذلك مثل الكلب اذا أنت أكرمته فاجلسته فى مجالس الامراء وألبسته حللا وأفضت عليه نعما وأقمت على رأسه الجنود صفوفا والحشم والخدم ألوفا ثم رميت له عظما على عتبة الدار الفينة ترك الجند والامراء والوزراء والكبراء ودلف الى ذلك العظم المنبوذ فسواء عليه أأكرمته ام أهنته وادنيته أم أبعدته ألا ترى أنه يلهث فى حال البؤس والرخاء والشمس والظل فاذا حملت عليه بعصاك أو رفعت عنه أذاك فانه يلهث فى الحالين فالفاسق منهم لا يفرق بين الخصلتين فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا يقرؤن العلم ويزدانون بالفهم فاذا ظهرت الدنيا بزخرفها وازينت مال الى جمع الحطام وصغرت الحكمة في عينه وأخذ يلهو ويلعب مع اللاعبين هذه حال رجال العلم فى الامم اذا أخذت تتدهور في هاوية الضلال واعرضوا عنها وتركوها تهوى وحبسوا العلوم في الصدور وعكفوا على ملاذهم فاولئك هم المشبهون بالكلاب واذا رأيت الدينار فى عينك اجل مغنما من الحكمة فى قلبك فان تلك حال اشبه بحال الكلب هذا وهل رأيت للعربى معنى يحوم حول هذه الحكمة نعم يقولون فلان جبان الكلب دلالة على الكرم فانظر الفرق بين القولين واحرص على الحكمة والعلم في الآية (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا)

المقارنة الثامنة

انا سنذكر هنا أيات من القرآن فيها تشبيه وتمثيل ثم نتبعها بشيء من كلام العرب ونكل معرفة الفرق لحدة خاطرك وثاقب ذهنك

(١) مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل المنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت المنكبوت لو كانوا يعلمون

(٢) واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا أكثر منك مالا واعز نفراً الآيات يضرب مثلا لرجلين مغرور كافر وعاقل مؤمن برجلين ورثا مالا فانفقه أحدهما فى الخيرات العامة والاحسان فأما الاخر فانفقه في لذاته وشهواته فلما نفذ ما عند المحسن من المال عيره ذلك المثرى بفقره وفخر عليه بخدمه وحشمه وبساتينه فكانت عاقبة المحسن العزة وعاقبة الاخر الخيبة والبوار

ثم قال المال والبنون زينة الحياة الدينا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا

(٣) تمثيل لتقبيح نقض العهد (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون أمة هى أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ماكنتم فيه تختلفون) ضرب مثلا لقوم ينقضون عهدهم اذا راؤا أمة عاهدوها قد ضعف امرها يعاهدون أمة اكثر مالا واعز نفراً جعل ذلك مثلا بحال امرأة حمقاء كانت تغزل حتى اذا

ما أتمت غزلها نقضته

(٤) ضرب مثلا لحال الالهة المصنوعة المزورة مع الله الخالق لها وللعالم بحال الناس مع عبيدهم وكما ان العبيد لا يشاركون ساداتهم فيما رزقوا من مال وعقار فهكذا هذه الاصنام والتماثيل وكل معبود في الارض عباد مسخرون لله فكيف يشاركونه وهو سيدهم

(٥) وشبه الهلال بعرجون النخل القديم في تقوسه وصفرته ودقته والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم

(٦) (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)

يقول انا خلقنا لجهنم قوماً من الجن والانس بقلوب لا تفقه الفضائل وعيون لا تبصر ما ينفعها وأذان لا تسمع ما يرفعها وقد قصروا قلوبهم على الشهوات وعيونهم على اللذات واسماعهم على ما يعيشون به المعيشة الحيوانية أولئك كالانعام ياكلون كما تأكل. علومهم قاصرة على شهواتهم ونفوسهم راضية بالخسة والدناءة بل هم أضل من الانعام اذ لا عقول لها بها تدرك خفايا الاشيئا وتعلم النتائج من الاسباب (أولئك هم الغافلون عما وعت نفوسهم من الحكم وما استعدت له من درجات المجد والشرف

(٧) تمثيل حال من أطاع الغاوين الضالين الذين يغرون الناس ويضلونهم حتى اذا وقع المغرورون في خطب مدلهم وارتطموا في أوحال الوبال ودخلوا في مأزق تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم

الاسباب بحال من اتبع وسوسة الشيطان اذ قال له اكفر فلما كفر قال له انى بريء منك قال

كمثل الشيطان اذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين

(٨) تشبيه اخوة يوسف وابويه بأحد عشر كوكبا والشمس والقمر والرؤيا من قبيل التمثيل والتشبية انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين

تشبيهات من كلام العرب

(١) قال طرفة بن العبد

لعمرك أن الموت ما اخطا الفتى   لكالطول المرخى وثنياه باليد

متى مايشا يوما يقده لحتفه   ومن يك فى حبل المنية ينقد

الطول الحبل يربط فى الدابة والثنيان الطرفان

(٢) قال كثير عزة

وانى وتهيامى بعزة بعدما   تخليت مما بيننا وتخلت

لكالمرتجى ظل الغمامة كلما   تبوأ منها للمقيل اسنقلت

يقول ان هيامى بعزة بعد أن انصرم حبل الوصل وتجافينا يشبه حال الرجل الذى استظل بالغمامة فلا يكاد ظلها يمس رأسه حتى يذره فى حر الشمس فهو من أمره فى شقاء فلا هو بقاطع امله ولا مايحب بوافيه

(٣) قال عمرو بن كلثوم

فان ننقل الى قوم رحانا يكونوا فى اللقاء لها طحينا
يكون ثفالها شرق نجد ولهوتها قضاعة أجمعينا

٤ قال امرؤ القيس

بينما نحن فى انتظار الصيد اذ عنّ لنا قطيع من بقر الوحش كان اناثه فى السمن واكتناز اللحم والتبختر فى المشى عذارى عليهن ملاحف طالت ذيولهن وهن يطفن حول الصنم المسمى دُوَارا وهذا معنى قوله

فعنّ لنا سرب كان نعاجه عذارى دُوَارٍ في ملاء مذيّل

عن عرض وظهر. السرب القطيع من الظباء والوحش والنساء والخيل وهو هنا بقر الوحش والنعاج جمع نعجه وهى الانثى من البقر الوحشى والعذارى الابكار والدّوار صنم كان اهل الجاهلية اذا نأوا عن الكعبة نصبوه وطافوا حوله تشبها بالطواف حول الكعبة وملاء جمع مُلاءه بضم الميم وهو ملحفة ذات لفقتين والمذيل الذى له ذيل طويل

﴿ التشبيه الخامس ﴾

قوله ان هؤلاء النعاج اقبلن علينا مجتمعات فلما رأينا نفرن وهن متفرقات فكانهن فى تلك الحال عقد خرز يمانى فى عنق صبى كثير الاعمام والاخوال قد فصل بين خرزاته بجواهر (ولاجرم ان من كثرت اعمامه واخواله يكون خرز عقده انضر وأحسن) يقول

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم فى العشيرة مخول

﴿ التشبيه السادس والسابع والثامن والتاسع ﴾

وصف امرؤ القيس السحاب وصفاً عجيباً فقال أن السحاب يسح

الماء حول موضع يسمى كتيفة يكب شجراً يسمى الكنهبل على اذقانه ثم مرّ هذا السحاب على جبل طي المسمى فنانا فانزل الوعل والظباء ذات الاذرع البيض من كل مكان ثم شبه الجبل المسمى ثبيراً عند مكة وقد نزل المطر عليه بكبير قوم عليه كساء مخطط ثم شبه رأس الجبل المسمى المجيمر ابنى فزارة صباح المطر من السيل الجارف والغثاء الذي فوقه بفلكة المغزل لاستدارتها وضخامتها واحاطتها به وهذا هو التشبيه السادس

ثم شبه نزول المطر بصحراء الغبيط (كمة يرتفع طرفاها ويطمئن وسطها كغبيط القتب) اذ نبت الزرع وأورق الشجر وازهر من كل مختلف الالوان باهر الافنان بتاجر يمانى محمـل من الثياب قد نشر ما فى غرارته من الثياب الباهرة المختلفة الالوان من احمر واصفر وأزرق وأخضر ذات أشـكال بديعة تسر الناظرين وقد عرضها على من يشتريها وهـذا هو التشبيه السابع ثم شبه طيور الاودية المسماة مكاكى جمع مكاء بالمد والتشديد غدوة ليلة ذلك المطر بمن شرب خمرا صافية لذاعة فهن لا يزلن يتغنين وهـذا هو التشبيه الثامن ثم شبه الاسود وقد غرقت فى سيول ذلك المطر باصول البصل البرى وانها تلطخت بالطين حتى كانها اصول البصل لكثرة ما عليها من الطين وهذا هو التشبيه التاسع

وهذا هو الشعر من معلقته

كأن ثبيراً في عرانين وبله ... كبير اناس فى بجاد مزمل

كأنّ على رأس المجيمر غدوة ... من السيل والغثاء فلكة مغزل

وألقى بصحراء الغبيط بعاعه ... نزول اليمانى ذى العياب المحمل

كأن مكاكى الجواء غدية صبحن سلافا من رحيق مفلفل
كأن السباع فيه غرقى عشية بارجائه القصوى أنافيش عنصل

تفسير الالفاظ — ثبير جبل بمكة وعرنين كل شىء اوله والوبل المطر والنجاد كساء مخطط من البسة الاعراب ومزمل ملفف وهو مجرور للمجاورة كقولهم هذا جحر ضب خرب وهو صفة كبير والذرى جمع ذروه وذروة كل شىء أعلاه والغثاء بالتخفيف والتشديد ما يحمله السيل والبعاع الثقل والحمل واليمانى الرجل المنسوب لليمن والعياب جمع عيبه ما يحمل فيه الثياب والمكاكى جمع مكاء بالمد والتشديد ضرب من الطير والجواء الوادى الواسع الجوف غدية تصغير غدوه وصبحن سلافا سقين السلاف وقت الصبح السلاف ما سال من عصير العنب قبل ان يعصر والخمرة منه أجود ما تكون الرحيق صفوة الخمر ومفلفل يلذع لذع الفلفل وأنا فيش العنصل أصول البصل البرى

هذا ما أردنا ايراده من التشبيه مقارنين بين كلام الجاهلية وآيات القرآن

أمثال القرآن

الامثال فيه قسمان ظاهرة وخفية فالظاهرة تقدم كثير منها فى التشبيه كقوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج الا نكداً ضرب مثلا للكافر والمؤمن فالكافر شبه الارض السبخة المالحة والمؤمن كالارض التى تخرج الزرع بلا مشقة

أما الامثال الخفية فكما روى عن الماوردي قال سمعت أبا اسحق

ابراهيم بن مضارب بن ابراهيم يقول سمعت ابي يقول سألت الحسن بن المفضل فقلت انك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد في كتاب الله تعالى خير الامور أوساطها قال نعم في أربعة مواضع قوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا قلت فهل تجد في كتاب الله من جهل شيئا عاداه قال نعم في موضعين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم قال فهل تجد في كتاب الله احذر شر من احسنت اليه قال نعم وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله. قلت فهل تجد في كتاب الله تعالى ليس الخبر كالعيان قال في قوله تعالى أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي. قال فهل تجد فيه في الحركات البركات قال في قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة. قلت فهل تجد كما تدين تدان قال في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به. قلت فهل تجد فيه حين تدري تقلى قال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا قلت فهل تجد فيه لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل قال هل تجد فيه من أعان ظالما سلط عليه. قال كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير قال فهل تجد فيه لا تلد الحية الا حيية قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال فهل تجد فيه للحيطان آذانا قال وفيكم سماعون لهم قلت فهل تجد العاجز مرزوق والعالم محروم قال (من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) قلت فهل

تجد فيه الحلال لا يأتيك الاقوتا والحرام لا يأتيك الا جزافاً قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم

ايات جارية مجرى المثل

ليس لها من دون الله كاشفة لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الان حصحص الحق. وضرب لنا مثلا ونسي خلقه . ذلك بما قدمت يداك. قضى الأمر الذى فيه تستفتيان. أليس الصبح بقريب وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر. ولا يحيق المكر السيء الا باهله. قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم. كل نفس بما كسبت رهينة ما على الرسول الا البلاغ. ماعلى المحسنين من سبيل. هل جزاء الاحسان الا الاحسان. كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله. الان وقد عصيت قبل تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى. ولا ينبئك مثل خبير. كل حزب بما لديهم فرحون. ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم: وقليل من عبادى الشكور. لا يكلف الله نفساً الا وسعها. لا يستوى الخبيث والطيب. ظهر الفساد فى البر والبحر.. ضعف الطالب والمطلوب. لمثل هذا فليعمل العاملون. وقليل ماهم. فاعتبروا يا أولى الابصار

متفرقات وفوائد شتى

قال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ومن اياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون

ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله

ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وله من فى السموات والارض كل له قانتون فى هذه عشرة براهين مما يشاهده الناس ويحسون به وهم لا يعيرونه التفاتاً

(١) انقلاب التراب فصيرورته بشراً يتحرك ويجرى

(٢) تنوعه الى زوجين ذكر وأنثى (٣) عطف أحدهما على الآخر

(٤) (٥) اختلاف الالسن باللغات والاصوات بالرقة والغلظ والجمال والقبح

(٦) النوم للراحة (٧) اليقظة لطلب الرزق

(٨) وميض البرق واخافة الناس من أذى المطر وأطماعهم به فى منافعه

(٩) انزال الماء من السماء واحياؤه الارض (١٠) النظام العام) فى السماء وفى الارض بلا خلل ولا ملل فهذه عشر عجائب لم تخطر ببال اعرابى قط

(٢) يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار

(٣) هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون

ذكر فى الثانية تقليب الليل والنهار بالزيادة والنقصان والحر والبرد وقرب الشمس وبعدها وفى الثالثة انه جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وان للقمر منازل فمن ذلك يعلم عدد السنين بسير القمر حول الارض ١٢ مرة كلما دارت الارض حول الشمس دورة ولاجرم ان علم الفلك لا يتقنه الناس الا اذا علموا الحساب والهندسة والجبر ولذلك قال ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل

الا يات لقوم يعلمون

فعطف الحساب على عدد السنين لانه مقدمة له وسبب افهمه وأشار الى ان العالم سائر على ناموس حق لاخلل فيه فقال ماخلق الله ذلك الا بالحق

(٤) ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون

يذكر ان من في السموات والارض طائعات له مسبحات والطير التى تصف أجنحتها فى الهواء

(٥) ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب

(٦) الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون

تقول العرب لكل شجر نار واستمجد المرخ والعفار هما شجران يأتى الرجل من هذا بفرع ومن ذاك بفرع ويحكهما فيتقدان ناراً وهما أخضران يقطران ماء

(٧) الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان

« هذه هى المذكرات التى جمعناها مما املاه علينا الاستاذ مفرقا فرتبناها وتم طبعها فى ربيع سنة ١٣٢٨

طائفة من تلاميذ المدرسة الخديوية

فهرست الكتاب

صحيفة

